نظرات في

إنجيل برنابا

المبشر بنبوة النبي محمد ﷺ

محمد علي قطب

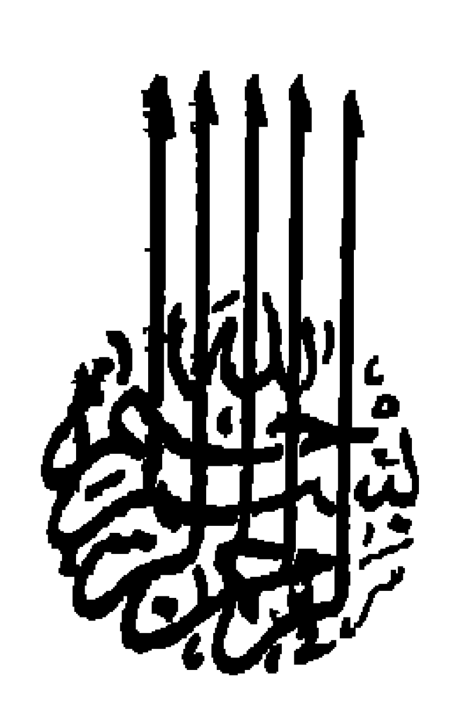
نظرات في

إنجيل برنابا

المبشر بنبوة النبي محمد ﷺ

محمد علي قطب

مكتبة القرآن
للطبع و النشر و التوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى ـ بولاق
القاهرة ـ ت : ٧٦١٩٦٢



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الله تعالى :

﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيحَ بن مريم وما أُمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يُشركون ﴾ .

﴿ وما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكنْ شُبِّهَ لهُمْ ﴾

﴿ ومُبَشِّراً برسُولٍ يأتِي من بَعْدِي اسمُهُ أحْمد ﴾

(صدق الله العظيم)

المقدِّمة

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونشكره ، ونتوبُ إليه ونستغفره ، ونعوذُ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَنْ يهْدِهِ الله فلا مُضِل له ، ومن يُضْلل فلا هادى له ؛

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، لهُ الملْك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيْءٍ قدير .

ونشهد أن سيدنا ونبيّنا « محمداً » عبْد الله ورسُوله ، أرسله بالهُدى ودين الحقّ ليُظْهره على الدين كُلّه ، بلَّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة .

صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحْبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبَعْد ...

فإنّ عِبارة : « الأدْيان السماوية » تحْمل في مضامينها مخالفةً عقائديّة يكشفها المنطق والحق ، لِأن الربَّ واحدٌ أَحَدٌ ، والبشريّة — الإنسانية — واحدة ، والصراط واحد ، والرُّسل جميعاً على نهج واحد ، من لَدُن « آدم » — عليه السلام — إلى « محمد » « ﷺ » —

خاتمهم ... ، فالدّين واحد ﴿ **إنَّ الدّين عنْد الله الاسلام** ﴾ إسلام العقْل والقلْب والجوارح للواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن لهُ كَفّواً أحد .

نعم ، تعددت « الرسالات » بتعدُّد الرُسُل (عليهم السلام) ، وتعدُّد الأقْوام والأجناس والألْوان ، ومسيرة الزّمن وحركة الحياة ... ، ولكنهم جميعاً في حرْب مع الشيْطان ، وزيْغ الضلالة والكُفران ، والانحراف عن جادَّة الرحمْن . ﴿ **قُلْنا اهْبطوا منها جميعاً بَعْضُكُم لبَعْضٍ عدوّ ...** ﴾ .

و« الرسالات » لم تختلف في غرضها العام ولافي الهدف السماوى ، ولئن اختلفت في الشمول والإحاطة ، أو الأسلوب .. ، أحياناً ... ، فمردُّ ذلك إلى الحاجة والنوْعية ، حاجة القوْم أو الأُمة ، والمتطلّبات الحياتية ، أو طريقة التعاطى مع ربِّ الكوْن والكوْن ...

والإنسان السويُّ العادل ، في عقله وحسِّهِ ووجدانِهِ ، يتبيّن السَّبب الذى من أَجْلِهِ حرَّم البابا « جلاسيوس » الأوّل (سنة ٤٩٢)م ، كتاب إنجيل « برنابا » ، في منشوره المشهور ، والسبب الذى من أجْلِهِ أيْضاً ــ كان التشكيك في صِحّة هذا الكتاب ونِسْبتِهِ بعد اكتشافه سنة (١٧٠٩)م ...

وإن تصديرنا لهذه المقدّمة بالآيات القرآنية الثلاث ، والتي يدور مِحْورُها حول :

ــ الوحدانية للذات الإلْهيّة

ــ ونبوّة « محمد » « ﷺ »

ــ وعَدَم الصَّلْب

تُؤَطّر مادّة الخلاف وسَبَبَه بين الإسلام والنصرانية على الصَّعيد العقيديّ ، وهى التي ذكرها « برنابا » في إنجيله ؛ والتى كانتْ مدعاةَ تحريمه أوّلاً ، والتشكيك فيه ثانياً !!!

وإنّا فى عَرْضنا ونظراتنا إلى إنجيل « برن‍ابا » نحاول بإذن الله تعالى وحوْله أَنْ نَسْتشف الحقيقة ، ونجلو الغوامض ، وندعو إلى الحق وإلى صراطٍ مستقيم . والله الهادى إلى سواء السبيل .

﴿ ... وقال المسيحُ : يابنى إسرائيل اعبُدوا الله ربى وربكُم ، إنَّهُ من يُشْرِكِ بالله فَقَدْ حرَّم الله عليه الجنّة ومأواه النار ، وما للظّالمين من أنْصار ، لَقَدْ كَفَرَ الذين قالُوا إنَّ الله ثالثُ ثلاثةٍ ، ومامِنْ إلٰهٍ إلا إلٰه واحد ، وإِنْ لم يَنْتَهُوا عمّا يقولون لَيَمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم ، أفلايتوبون إلى الله وَيستْغفرونه ، والله غفورٌ رحيم ، ما المسيح بن مريم إلّا رسُول قَدْ خَلَتْ من قَبْله الرُّسُل ، وأُمُّه صدّيقةٌ كانا يأكُلان الطعام . انْظُر كيْف نُبيِّن لهم الآيات ثم انْظُر أنّى يُؤْفكون ، قُلْ : أتعبدون من دون الله مالا يملك لكُم ضَرّاً ولانفْعاً ، والله هُوَ السميعُ العليم ، قُلْ يا أهل الكتاب لاتَغْلُوا في دينكم غَيْر الحقّ ، ولاتَتَّبِعُوا أَهْواء قوْمٍ قد ضَلُّوا من قَبْل وأَضَلُّوا كثيراً وضلُّوا عن سواء السبيل ﴾ .   المائدة (٧٢ — ٧٧)

﴿ ربَّنا لا تُزِغ قلُوبنا بعْدَ إِذْ هَدَيْتنا وَهَبْ لنا من لدُنْك رَحْمةً ، إِنَّكَ أَنْت الوهاب ﴾

صيدا في غرة رجب
١٤٠٥
الموافق ١٩٨٥/٣/٢٠

مقدمة المترجم

يقول الدكتور « خليل سعادة » مُتَرْجم إنجيل « برنابا » :

[أَقْدَمتُ على ترجمة هذا الكتاب المسمّى بإنجيل برنابا وأنا شاعر بخطورة المسؤولية التى ألقيْتُها على عاتقى ، وإنى لم أُقْدم عليه إلا خدمةً للتاريخ ، وغيرةً على لغةٍ هى أحق بنقْله إليها من سواها وهى المرَّةُ الأولى التي برز فيها هذا الانجيل في ثوب عربىّ ، وهو إنجيل تضاربت فيه آراء الباحثين ، وتشعبتْ بخصوصه مذاهب المؤرخين ، وخبطوا فيه بيْن ضلالةٍ وهُدَى ، وتلمّسوا حقيقته بيْن رشادٍ وهوى ، واستنطقوا الآثار والأسفار واستفسروا الأعصر والأمصار ، فما ظفروا بعد كل ذلك بما يشفى منهم غليلا ، ويُبرِء لهُم عليلا .

والنُّسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم التى نُقِل عنها هذا الإنجيل إنما هى نسخة إيطالية في مكتبة بلاط « فيينا »[1] ؛ وهى تُعدُّ من أَنْفَس الذخائر والآثار التاريخيّة فيها ، تقع فى مئتيْن وخمس وعشرين صحيفة سميكة ، مجلّدة بصفيحتيْن رقيقتيْن متينتيْن من المقوّى ، يغطيهما جلْدان لونُهُما أَدْكن ، ضارب إلى الصُّفْرة النحاسيّة ، ويحيط بهما على الحوافى الأربع خطان مذهبان ، وفى مركز الجلْد نقْش بارز عطل من التذْهيب ، تحيط به حافة مزدوجة من نقوشٍ ذهبية متباينة الأشكال ، يسميها الغربيُّون بالطراز العربي ، ويستدلّون من مجمل التجليد المنوّه عَنْه أنه طراز شرقىّ .

(١) عاصمة النمسا (فى عهد الملكيّة والجمهورية) .

إلا أن البعض يذهب إلى أن التجليد المذكور برمّته قد يكون من صُنْع المجلّديْن « الباريسيَّيْن » اللذيْن استقدمهما « الدوق : دى سافوىْ» لتجليد النسخة المذكورة التي كانت مِلْكاً له على ماسيجىء بيانه ، فقد يكونان جلَّداها تقْليداً للطراز العربى .. ، ومما حملهم على هذا الظن هو أن المحفظة الخارجيّة للنسخة المذكورة هى صنْع المجلّديْن الباريسيَّيْن بلا مراء .

إلا أنه يُقال ــ فى جنْب ماتقدم ــ إن هناك نسخة صَكٍّ في « البُنْدقية » مجلّدة بجلد يضارع جلد النسخة الإيطالية لإنجيل برنَابا من كُلّ وجْه ، وخصوصاً من حيث النقوش المشار إليها ، والصكّ المذكور إنما هو نسخة دولية باللغة الإيطالية لمعاهدة عقدت بيْن الدولة العليّة (العثمانية) و« البندقية » وَرَد ذكرها في مراسلاتٍ يرجع عهدها إلى أصيل القرن السادس عشر ، وجلْد الصك المذكور في « القسطنطينية » بلا مشاحة ، كما يستدل على ذلك من آثار كتابة باللغة التركية الشائعة في ذلك الزمن ، تَبدّت من خلال مزق في الجلْد المذكور .

وزعم بعضهم أن صحائف النسخة الإيطالية هى في الورق المسمّى بالتركى ، إلّا أنه ليس فيها شيء يؤيد هذا الزعم فإن جميعها من الورق المعروف بالورق القطنى وهى متينة النسيج خَشِنَتُه ، خلا صحيفتيْن منها مصقولتيْن ، تختلفان في قوامهما ولوْنهما عن البقية .

وهنالك حُجة قويّة تفنّد مزاعم القائلين بالأصل التركي ، وهى أن الآثار المائيّة في الورق ، وهى التي تبدو لك متى استشففْته ، لم تُشاهد في نوع من أنواع الورق الشرقى قط ، وهى في الصحائف المنوّه عنها على شكل مرساةٍ سفينةٍ تحيط بها دائرة ، وهى علامة مميّزة لنوعٍ من الورق

الإيطالي على ماقال بعض مشاهير الإخصائيّين .

وأوّل من عثَر على النسخة الإيطالية مِمّن لم يعْف التاريخ أثرهم ، ولم تدرس الأيّام ذكرهم ، هُو : « كريمر » ـــ أحد مستشارى ملك بْروسيا ـــ ، وكان مقيماً وقتئذٍ فى « أمْستردام » ، فأخذها سنة (١٧٠٩)م ، من مكتبة أحد مشاهير ووجهاء المدينة المذكورة ، ولم يزدْ على تعريف صاحبها بغيرْ هذه الألْقاب المبهمة ، إلا أنه ذكر في عرْض الكلام عنه أنّ الوجيه المذكور كان يحسب النسخة المنوّه عنها ثمينة جداً فأقرضها : « كريمر تُولند » ، ثم أهداها بعد ذلك بأربع سنين إلى البرنْس (الأمير) : « أيوجين سافُوْىْ » الذي كان على كثرة حروبه ومعاركه ، ووفرة مشاغله السياسيّة ، شديد الولع بالعلوم والآثار التاريخية ، ثم انتقلت النسخة المذكورة سنة (١٧٣٨)م مع سائر مكتبة البرنْس (الأمير) المنوّه عنه إلى مكتبة البلاط الملكى في « فيينّا » حيث لاتزال هناك حتى الآن ، على مامرَّ بكِ بيانه .

بيد أنه وُجد فى أوائل القرْن الثامن عشر نسخة أخرى أسبانية تقع في مائتين واثنيْن وعشرين فصْلاً ، وأربع مائة وعشرين صفحة ، جرّ الدهر عليها ذيْل العفاء ، فطمست آثارُها ، ودرست رُسُومُها ، وكان قد أقرضها الدكتور « هِلْم » من « هذْلي » [بلدة من أعمال : « همبشاير »] المستشرق الشهير « سايْل » ، ثم تناولها بعد « سايْل » الدكتور « منْكهوس » أحد أعضاء كليّة الملكة فى « أُكسْفورْد » فنقلها إلى الانجليزية ، ثم دفع الترجمة مع الأصل سنة (١٧٨٤)م إلى الدكتور « هوايت » أحد مشاهير الأساتذة .

ولقد أشار الدكتور « هوايت » المنوّه عنه فى إحدى الخطب التي

كان يُلقيها على الطلبة إلى هذه النسخة حيث استشهد ببعض الشذرات منها ، ولقد طالعت هذه الشذرات وقابلتُها بالترجمة الانجليزية المنقولة عن النسخة الإيطالية الموجودة الآن في مكتبة بلاط « فيينّا » فوجدْتُ الإسبانية ترجمة حرفيةً عن تلْك ، ولم أرَ بيْنهما فَرْقاً يستحق الذكر إلّا فى أمريْن ، فإن النسخة الإيطالية تقول : [إنه لما جاء « يهوذا » الخائن مع الجنْد الرومانى ليسلِّم « يسوع » على أيديهم كان « يسوع » يُصلّى فى البستان بجانب الغُرفة التى كانَ تلاميذه فيها نياماً ، فلما احَسّ بالجنود خاف فدخل الغرفة ، فلما رأى الله الخطر المحْدق به أرسل ملائكته الأربعة فاحتملوه في النافذة إلى السماء الثالثة ، فلما دخل يهوذا الخائن الغرفة غَيَّر الله بآيةٍ مَنظَرهُ وصوتَهُ ، فصار نظير « يسوع » تماماً ، فلما استيقظ التلاميذ ورأوه لم يشكّوا فى أنّه هُوَ « يسوع »]

فالرواية الإسبانية تنطبق حرفيّاً على الإيطالية ، إلا أن الأولى تقول : [إلّا « بُطْرس »] أى أنها استثنتْ « بطرس » عن عداد التلاميذ الذين لم يشكوا فى أن « يهوذا » هو « يسوع » ثم ذكرت اسم أحد الملائكة الذين احْتملوا « يسوع » من النافذة : [« عزرائيل »] ، وهو فى الإيطالية : [« أوريل »][2] .

وهناك بعض اختلافات أخرى طفيفة أضربْنا عن ذكرها .

ويؤخذ مما علّقه « سايْل » على النسخة الإسبانية أنّه مسطور في صَدْرها أنها مترجمة عن الإيطالية بقلم مُسْلم أرُوغانى يسمّى : « مصطفى العرندى » ، ومُصَدَّرة بمقدمة يقصُّ فيها مكتشف النسخة الإيطالية — [وهو راهب لاتينى يُسمى : « فرامرينو »] — كيفيّة

(٢) أى : إسرافيل « عليه السلام » .

عثوره عليها ، وفي جملة ماقال بهذا الصَّدد : إنه عثر على رسائل لـ «أرِينايُوس» وفي عدادها رسالة يندّد فيها القّديس : « بولس» الرسُول ، وأن « أريناوس » أُسْند تنديده هذا إلى إنجيل القدّيس « برنابا » .. ، فأصبح من ذلك الحين الراهب : « مرينو » ــ المشار إليه ــ شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل .

واّتفق أنه أُصْبح حيناً من الدهر مقرّباً من البابا « سكتُسْ » الخامس ، فحدث يوماً أنهما دخلا معاً مكتبة البابا ، فرانَ الكرى على أجفان قداسته ، فأحب « مرينو » أن يقْتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا ، فكان الكتاب الأول الذى وضع يده عليه هو هذا الإنجيل نفسه ، فكاد يطير فرحاً من هذا الاكتشافَ ، فخبّأ هذه الذخيرة الثمينة في أحَد رُدْنَيْه ، ولبث إلى أن استفاق البابا فاستأذنه بالانصراف حاملاً ذلك الكْنز معه ، فلمّا خلا بنفسه ، طالعه بشوْقٍ عظم ، فاعتنق على أثر ذلك الدين الإسلامى .

هذه هى رواية الراهب « فرامرينو » على ماهُو مُدوّن في مقدّمة النسخة الاسبانيّة ، كما رواها المستشرق « سايْل » ، في مقدمةٍ له لِترجمة القرآن ، وهى مع ماتقدَّم الإلماعُ إليْه من خُطب الأستاذ « هوايْت » ، المصدر الوحيد الذى لنا الآن بخصوص النسخة الإسبانية التي لم أعثِر على كيفيّة فقدانها ، سوى أنه عُهد بترجمتها إلى الدكتور « منْكهَوس فدفعها إلى الدكتور « هُوايْت » ثم طُمس بعد ذلك خبرها وانمحى أثرُها .

وهُنا يِعرض لِلّبيب سؤال وهُو :

هل النسخة الإيطالية الحاضرة هى التى اختلسها الراهب « فرامرينو » من مكتبة البابا « سكْتُس » الخامس ؟ أم هى نسخةٍ أخرى سواها ؟

ولايمكن ترجيح ذلك إلا بعد تعيين الزمن الذى كتبت فيه ؛ وإذا تحرّيت التاريخ وجدْت أن زمن البابا « سكتُس » الخامس — المذكور — نحو مغيب القرن السادس عشر ، وقد علمْت مما مرَّ بك بيانه أن نوع الورق التي سطرت عليه النسخة الإيطالية إنما هو ورق إيطالى يمكن تعيين أصله من الآثار المائية التي فيه ، والتى يمكن اتخاذها دليلاً صادقاً على تاريخ النسخة الإيطالية ، والتاريخ الذى يخَمنه العلماء من كل ما تقدم بيانه يتراوح بيْن منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر ، وعليْه فمن الممكن أن تكون النسخة الإيطالية هى عينها التى آختلسها « فرامرينو » من مكتبة البابا على مامرَّت الإشارة إليه .

ولمّا شارع خبر إنجيل « برنابا » فى فجر القرن الثامن عشر أحدث دويًّا عظيماً فى أندية الدّين والعلْم ولاسيّما في انجلْترا ، فكثر بشأنه الجدل ، واحتدمتْ بيْن العلماء مناقشات كان بعضها أقرب إلى التخرصات والأوهام منه إلى المباحث العلمية ، وأوّل أمر توجهت إليْه هِمَم الباحثين الخوْض في أمر النسخة الأصلية التى كانت عند الراهب « فرامرينو » وادّعى اختلاسها من مكتبة البابا « سكتُس » الخامس ، ومن الغريب أن العلماء لم يتنبّهوا في حلّ هذه القضيّة إلى مارأوْه مسطوراً على هوامش النسخة من الألفاظ والجمل العربية التى أثبتناها في هذه

الترجمة أمانةً فى النَّقْل ، ولكى تكون مطابقةً للأصل برُمَّته من كل وجْه ، والحِق يُقال : إن اللبيب يحار في أمر هذه الشروح والهوامش العربية في نسخة إيطالية ، ولابد لى في هذا الموقف من ذكْرْ ماعَنَّ لى بشأنها بشْيءٍ من الإسْهاب لأنّ كُلّ الثقات الذين تؤْخذ أقوالهم حُجّةً فى الكلام على النسخة الإيطالية لم يُوفّوا هذا الموضوع حقّه بل لم يُلمُّوا به أقلّ إلمام حتى أن مستشرقاً كبيراً كالأستاذ « مَرْجلْيوث » لم يذكرها إلّا على سبيل العرْض ، ولم يقُلْ بشأْنها إلّا قَوْلاً واحداً وهو أن « لامونى » ظنها صحيحة العبارة محكمة الوضْع ، ولكن لم يخْف أمْرها على العالم « دنْس » الذى قال بسُقْم تركيبها ووفرة أغلاطها .

وأنت إذا تفقَّدْت هذه الهوامش وأعملت فيها الرويَّة وجدت بعضها صحيح العبارة مُحْكم الوضْع ، لعِبَ فيه قلم الناسخ كل ملعب ، من مَسْخٍ وتصْحيف ، والبعض الآخر سقيم التركيب من أصله لا تكاد تفقه لبعضه معنىً إلا بكدِّ الذهن ، ولا تفقه لبعضه الآخر معنىً بالمرَّة ، وتجد أيْضاً أن ماكان ركيك العبارة سقيم التركيب قد جرى فيه الكاتب على الترجمة الحرفية في أضيق معانيها وأسخفها ، فوضع المضاف إليه قبْل المضاف ، وهو مالا يفعله كاتب عربى تحت الشمس ، وليس ذلك فقط في الهوامش التى هى ترجمة بعض فقرات الإنجيل إلى العربية ، بل أيضاً في الهوامش التى هى من أوضاعه والتى لامقابل لها بالإيطالية .

ولا بأس من أن أعزِّز هذا البيان بأمثلةٍ منها زيادة للإيضاح ، وتمهيداً للاستنتاج الذى أرمى إليه ، فمن أمثلة النوع الأول قوْل : [جاءت طائفة من اليهود « عيسى » يسألون عن اسْم النبى الذى يُبْعث في آخر الزمان ، فقال « عيسى » : إن الله تعالى خلق النبىّ في آخر

الزمان ووضعه في قنديل من نور وسمّاه « محمّداً » قال : يا« محمد » اصْبر .. لأجْلك خلقتُ خَلْقاً كثيراً ، وهبْت لك كله ، فمن رضيَ عنك فأنا راضٍ عنه ، ومن يُبْغضك فأنا برىء منه]

فإذا تدبرت هذه العبارة ، وتمَعَّنْت فيها مليّاً ، وجدْت أن العربية متمكنة فى واضعها لأن من يصوغ العبارة في هذا إنما هو متضلّع في اللغة ، والتشويش الذى تطرّق إليها هو دخيل عليها بقلم أعجميّ .

ومنه : [الله خالق] ومنه : [الله حيٌّ وقديم] فلفظة: قديم ، بمعناها المنطقى هنا لايسطرها إلا قلم كاتب يجيد التعبير ، ومنه قوله : [إذا كان يوْم القيامة يحشر جميع المؤمنين ويكتب على جبهتهم بالنُّور دينُ رسُول الله]

فإذاَ قابلْت ماتقدَّم بما يأْتى جزمْت للحال أنه من المحال أن يكون الكاتب واحداً ، من ذلك قوله : [سورة « عيسى » أَلَمْ] أى : سورة آلام « عيسى » ؛ وقوله : [ذكَر « أديرس » قصص] أى : ذكر قصّة « إدريس » ؛ وقوله : [متكبّر كاميل بيان] أى : بيان شر أنواع الكبرياء ؛ وقوله : [من أىّ دين عنده ينبغى أن يصدق من الجنائس] إلى آخر ماهنالك من الطمطمانيات التي هى أقرب إلى العُجمة منها إلى العربية ، فمن كانَ يُحسن إجادة سلْك العبارات على ماتقدَّم إيضاحُه من أمثلة النَّوْع الأول .. لايرتكب مثل هذه الأغلاط الفاضحة التى يستحيل على عربيٍّ — أو مستشْرقٍ — ارتكابها .

فإذا تدبَّرْت ماتقدم هان عليك أن تفقه أن كاتب الهوامش العربية أكثر من واحد ، فكان واضعها الأصلى صحيح العبارة فصيحها ، فجاء بعده في نسخها ومسخها وبدَّل فيها ماشاء قُصُورُ مداركه في اللغة

العربية ، فأفسد بنسخه كثيراً مما وضعه الكاتب الأول وزاد عليه من عنده ماترى من التعابير السخيفة والأساليب الركيكة ، والطمطمانيات التى لايُستخرج منها معنىً بالمرة .

والذى أرمى إلى الاستدلال عليه من هذا البيان أن النسخة الإيطاليه التى هى الآن في مكتبة البلاط الملكى فى « فيينا » إنما هى مأخوذة بلا مراء عن نسخةٍ أُخرى وبالتالى لا يصحّ اعتبارها النسخة الأولى الأصلية .

إذا كان الأمر كذلك ، فما هو الأصل الذى أخذت عنه النسخة الإيطالية ؟ وهو سؤال صعب ، ولكن لايستحيل الإجابة عليه ، فقد مرَّ بك من الكلام على هوامش النسخة المشار إليها مايصحّ الاستدلال به على أن النسخة التي نقلت عنها ليست بعربية لأن من يجيد العربية إلى حدٍ يتمكن معه من ترجمة هذا الإنجيل منها إلى لغةٍ أخرى لايرتكب مثل هذه الأغلاط السخيفة التى تراها في الهوامش ، ولا يقلب الكلام إلى حدّ تقديم المضاف إليه على المضاف ، إلى غير ذلك من التعابير التى هى أدلّ على أصل لاتينى أو إيطالى قديم ، وهو استنتاج ينطبق على ماقال به الثقات بعد التدقيق وإمعان النظر في نوع خط النسخة الإيطالية الموجودة الآن في مكتبة بلاط « فيينا » ، فقد توصّلوا إلى الجزم بأن ناسخها إنما هو من أهالى « البندقية » نسخها فى القرن السادس عشر ، أو أوائل السابع عشر ، وأنه يرجح أنه أخذها عن نسخةٍ « توسكانيّة » ، أو عن نسخةٍ بلغة « البندقية » تطرقت إليها اصطلاحات « توسكانية » ، وهى أقوال : « لوتسْدال » و« لوراراغ » بعد أن أخذا في ذلك آراء أعظم الثقات الإيطاليين الذين يؤخذ قولهم حُجة فى هذه المباحث الإخصائية .

ويذهب الكاتبان المذكوران إلى أن النسخ حدث نحو سنة (١٥٧٥)م وأن من المحتمل أن يكون ناسخ هذا الإنجيل الراهب « فرامرينو » الذى ورد ذكرُهُ فى مقدّمة النسخة الإيطالية على ماجاءت الإشارة إليه ، ثم يقولون بعد ذلك ما ترجمته : (وكيف كان الحال ، فيمكننا الجزم بأن كتاب « برنابا » الإيطالى إنما هو كتاب إنشائى ، وسواء قام به كاهن أو علْمانى أو راهب أو أحد العامة ، فهو بقلم رجل له إلمام عجيب بالتوراة اللاتينية يقرُب من إلمام « دانْتِ » ، وأنه نظير « دانْتِ » متضلّع على نوع خاص من « الزّبور » ، وهو صُنْع رجل معرفته للأسفار المسيحية تفوق كثيراً اطلاعه على الكُتُب الدينية الإسلامية ، فيرجّح إذاً أنّه مُرْتَدّ عن النصرانيه) .

والباعث على المقارنة بيْن كاتب هذا الإنجيل والشاعر الشهير « دانْتِ » مافى كلامهما في الملابسات ومافى تعابير النسخة الإيطالية من الشَّبه بمؤلفات « دانْتِ » الشعريّة التى يصف فيها الجحيم[٣] والجنّة ، ففى هذا الانجيل : أن هناك سبْع دركات للجحيم ، تختلف مراتبها باختلاف الخطايا الكبيرة السّبْع التى يُعذب البشر لأجلها ، وأنه يوجد تسْع سماوات تأتى في قنّتها الجنّة ، فتكون العاشرة ؛ فيستنتج بعضهم من ذلك أن كاتب هذا الإنجيل إنما جاء بعد « دانتْ » وأخذ عنه هذه الشروح ، أو أنه كان معاصراً له فذكر نظير « دانْت » ماكان شائعاً من الآراء في عصرهما ، فيكون إذ ذاك « برنابا » هذا قد ظهر في القرن الرابع عشر ، إلا أن وصف الجحيم على ماجاء به « برنابا » هذا لاينطبق على وصف « دانْتِ » أوغيره إلّا من حيث العدد ، والرأى الأصيل أن يكون كلاهما قد أخذ عن مصدر آخر قديم لا يترتب معه أن يكون الكاتبان

(٣) فى ملهاتة الشعرية المسمّاه : الكوميديا الإلٰهيّة .

متعاصريْن ، وذلك المصدر إنما هو « ميثولوجيا » اليونان ، وقد يُعدّ مابيْن الكاتبيْن من الشَّبه والتصوّرات الشعريّة والألفاظ الوضعيَّه من قبيل توارُد الخواطر .

ولقد تبادر إلى ذهن العلماء باديء بدء أن النسخة الإيطالية مأخوذة من أصْل عربيّ ، وكان أول من أشار إلى ذلك : « كريمر » الذى مرّ بك ذكره حيث صدَّر النسخة الإيطالية التى أهداها إلى « الدوق سافوى » ببضعة أسطر من عنده ، يذكر أن هذا الإنجيل « المحمدى » !! مترجم عن العربية أو سواها ، ثم تابعه فى ذلك « لامُونى » حيث يقول : (أرانى « البارون هُو هنْدَرْف » الذى يجمع بيْن شرف المحتد وسموّ الآداب وسَعَةِ الاطلاع كتاباً يزعم الأتراك أنه للقديس « برنابا » ؛ والظاهر أنه منقول إلى الإيطالية من العربية — ويريد بلفظ الأتراك جمهور المسلمين والعرب ، على مايزال شائعاً من استعمال غير المدقّق من كُتّاب الافرنج لهذه اللفظة

ثم إن الدكتور « هْوايْت » الذى مر الإلماع إليه يقول فى سنه (١٧٨٤)م : (إن الأصل العربى لايزال موجوداً فى الشرق) .

ولكنك إذا أعملْت البصيرة وجدت أن كلام الدكتور « هْوايْت » مبنىّ على كتابات المستشرق « سايْل » التى نشرها قبْل ذلك بنحو نصف قرن من الزمن وَسمّاها بالمباحث التمهيدية ، وفيها يقول فى عرض الكلام عن القرآن : (إن عند المسلمين إنجيلاً عربياً ينسبونه إلى القديس « برنابا » وفيه يروى تاريخ « يسوع المسيح » على أسلوب يُباين كل المباينة الأناجيل الصحيحة !!! ؟؟[٤] ينطبق على التقاليد التى جرى عليها

(٤) العجب العجاب فى أمر هؤلاء المستشرقين ، أو العلماء الباحثين أنَّهم يفترضون فى أعمالهم أصولاً وقواعد للتحقيق لايطبقون منهجيّتها على الدراسات التاريخية للأناجيل ، والأوْلى أن يُنصفوا !!

« محمد » في قرآنه !!!؟؟)[٥] .

ولكنه يعترف بعد ذلك فى عرض المقدمة التى له على القرآن : (إنى لم أر إنجيل « برنابا » عندما ألمعت إليه فى المباحث التمهيدية) .

فقوله السابق إذاً مبنى على السماع ، وهو إنّما تابَعَ فى ذلك « لافونى » على ما جاءت الإشارة إليه ، وقوله هذا أيْضاً مبنىّ على السماع لأنه لم يعثر على نسخةٍ عربيةٍ للإنجيل المذكور قطَ .

ثم إنه لم يرِدْ ذكر لهذا الانجيل في كتابات مشاهير الكتاب المسلمين سواء في الأعصُر القديمة أو الحديثة حتى ولا مؤلفات من انقطع منهم إلى الأبحاث والمحاولات الدينية ، مع أن إنجيل « برنابا » أمضى سلاحٍ لهم في مثْل تلْك المناقشات ، وليس ذلك فقط ... ، بل لم يردْ ذكر لهذا الإنجيل في فهارس الكتب العربية القديمة عند الأعارب أو الأعاجم ، أو المستشرقين الذين وضعوا فهارس لأندر الكتب العربية من قديمةٍ وحديثة .

بيْد أنه لابُدَّ لى من التصريح بعد كل ماتقدم بيانه إلى أنى أشد ميْلاً للاعتقادِ بالأصل العربى منّى بسواه ، إذْ لايجوز اتخاذ عدم العثور على ذلك الأصل حُجّة دامغةً على عدم وجوده .. ، وإلّا توجبَ الاعتقاد بأن النسخة الإيطالية هى النسخة الأصلية لهذا الانجيل ، فإنه لم يعثر أحد قطّ على نسخةٍ أخرى سوى النسخة الاسبانية التى مرّ بيانها ، والتى ورد فى مقدّمتها أنها مترجمة عن نسخةٍ إيطالية ، والْمطالع الشرقىّ يرى لأوّل وهلة أن لكاتب انجيل « برنابا » إلْماماً بالقرآن ..، حتى إن كثيراً من فقراتِهِ يكاد يكون ترجمةً حرفيّة أو معنويّة لآيات قرآنية ، أقول

(٥) ليس القرآن الكريم قرآن « محمد » ـ ﷺ ـ إنما هو كتاب الله تعالى ووحيُه إلى رسوله .

هذا وأنا عالم أني في ذلك مخالف لجل كُتّاب الغَرْب الذين خاضوا عُباب هذا الموضوع ، وفى جُملتهم « لُونْسدال » و« لورارْغ » اللذان يزعمان أن إلمام كاتب هذا الإنجيل بالاسلام قليل ، فكان هذا من جملة الأسباب التى حملتهما على نفس القوْل بأصْل عربى ، ومن ذلك حديث « إبراهيم » ـــ [عليه السلام] ـــ مع أبيه ، ومنه ماينطبق على سورة (٢١)و (٣٧) ؛ وكقـوله عن سبب سقوط « إبليس » أنه أبى أن يَسْجد لِـ « آدم » ـــ [عليه السلاِم] ـــ على حدّ ماجاء فى سورة « البقرة » ؛ وكذلك ماورد فى سورة « الْحِجْر » ..، ولوْ لا ضيق المقام لأوْرِدْت كثيراً من تلْك الفقرات مع ما يُقابلها من آيات القرآن ، وليس ذلك فقط ، بل إن في إنجيل « برنابا » كثيراً من الأقوال التى تنطبق على الأحاديث النبوية والأساطير العلمية التى لم يكن يعرفها حينئذٍ غَيْر العرب ، حتى إنّك لاتكاد تجد فى هذه الأيام ـــ على كثرة المستشرقين والمشتغلين باللغة العربية ، وتاريخ الإسلام من الغربيين ـــ مَنْ يُعدّ عالماً بالحديث .

ومن جملة الأسباب التى تحْدو بى إلى هذا الزعم أن طراز تجليد النسخة الإيطالية إنما هو طراز عربىّ بلا مراء ، على ماتقدم الإلماع إليه ، والقول بأنه من صُنْع الباريسّيّيْن اللذيْن استقدمهما « الدوق دى سافويْ » تقليداً للطراز العربى ، لايتعدى الحدْس والتخْمين .

غير أن القول بأن هذا الإنجيل عربى الأصل لايترتب عليه أن يكون كاتبه عربىّ الأصل ، بل الذى أذهب إليه أن الكاتب يهودى أندلُسى اعتنق الدين الإسلامىّ بعد تنصُّره واطلاعه على أناجيل النصارى ، وعندى أن هذا الحل هو أقرب إلى الصواب من غيره، لأنك إذا أعملْت النظر فى هذا الإنجيل وجدت لكاتبه إلْماماً عجيباً بأسفار العهد القديم

[التوراة] لاتكاد تجد له مثيلاً بيْن طوائف النصارى إلا فى أفرادٍ قليلين في الإخصائيين الذين جعلوا حياتهم وقفاً على الدين كالمفسِّرين ، حتى إنه ليندر أن يكون بيْن هؤلاء أيضاً من له إلمام بالتوراة يقرب من إلمام كاتب إنجيل « برنابا » ، والمعروف أن كثيرين من يهود الأندلس كانوا يتضلّعون فى العربيّة ، ولقد نبغ بينهم من كان له فى الأدب والشعر القدْح المعلّى ، فيكون مثلهم في الاطلاع على القرآن والأحاديث النبويّة مثل العرب أنفسهم .

مما يؤيد هذا المذهب ما ورد فى هذا الإنجيل عن وجوب الختان ، والكلام الجارح الذى جاء فيه من أن الكلاب أفضل من الغُلْف ، فإن مثل هذا القوْل لايصدر من نصرانى الأصل .. ، وأنتَ إذا تفقدْت تاريخ العرب بعدِ فتْح الأندلس وجدت أنهم لم يتعرضوا بادىء بَدْءٍ لأديان الآخرين في شيءٍ على الإطلاق ، فكان ذلك من جملة البواعث التى حَدَتْ بأهْل الأندلس إلى الرضوخ لسطْوة المسلمين وسيطرتهم ، وثابروا على هذه الخطّة في جميع الأمور الدينية إلا في شيْء واحدٍ وهو الختان ، إذْ جاء زمن أكْرهوا فيه الأهالى عليه وأصدروا أمراً يقْضي على النصارى باتباع سُنّة الختان على حدٍّ ما كانَ يجرى عليه المسلمون واليهود ، فكان هذا من جُملة البواعث التى دعت النصارى إلى الانتقاض عليْهم .

أما يهود الأندلس فإنهم كانوا يدخلون فى الاسلام أفواجاً وليس ذلك فقط ، بل كانت لهم يد كبيرة فى إدخال المسلمين إسبانيا ورسوخ قدمهم فيها فى ذلك العهد الطويل .

ومما يعزّز هذا الرأى أيضاً أن هذا الإنجيل يتضمن كثيراً من التقاليد التلْموديّة التى يتعذّر على غير يهودى معرفتها ، وفيه أيضاً شيْء

من معانى الأحاديث والأقاصيص الإسلامية الشائعة على ألْسنة العامّة ، ولاسند لها من كُتُب الدين ، ولايتأتّى لِأحَدٍ الاطلاع على مثل هذه الروايات إلا إذا كان فى بيئةٍ عربيّةٍ ، فالرأى الذى أذهبُ إليه من أن الكاتب الأصلىّ هو يهودى أندلسى اعتنق الإسلام يُعلل جميع ما تقدَّم تعليلاً واضحاً .

إلا أنّ البعض يذهب إلى أن الوسط الذى ظهر فيه الإنجيل إنما هو إيطالى نحو أوائل القرون الوسطى ، وأن كاتب هذا الإنجيل إيطالى من ذلك الزمن بدليل أن مجمل روح الإنجيل وعبارته تدل على هذا الوسط ، فقد ذكر فى عرض الكلام عن الحصاد وأناشيد المغنيّن مايصح أن يكون وصْفاً حرفياً لما يحدث الآن فى « تُوسْكانيا » و« تينو » من إيطاليا ، وأن الإشارة إلى استخراج الحجارة من المقالع ونَحْتها وبناء البيُوت بالحجارة الصَّلْدة أصَحّ على كاتب من أُمةٍ خبيرةٍ بالبناء منه على كاتب من العرب الذين يقيمون فى الخيام ، وقِسْ عليه ماجاء من حمْل العبْد خُبْزاً لِفَعَلَةِ سيّده فى الكروم ، وعن دوْس العنب بالأقدام فى المَعاصِير ....، إلى آخر ماهناك من مثل هذه الإشارات .

والحقُّ يقال أنى لم أجد فى كل ذلك ماهو أدلّ على وسط غربىّ منه على شرقىّ ، إلاّ إذا كان مُراد الكاتب أن يكون ذلك الوسط الشرقىّ بلاد العرب نفسها ، فإن ماوَرَدَ فيه ينطبق آنطباقاً تاماً على ماكان جارياً في فلسطين وسوريا فى عَهْد المسيح ، ولايزال كذلك لهذا العهْد الحاضر ، فالحصّادون والحصّادات ينشدون أناشيد يرنُّ صداها في جوانب السُّهول وبطون الأودية ، والبنّاءون يقطعون الحجارة وينحتونها على نحو ماذكر « برنابا » ، ولايسكن الخيام إلّا البدْو الرُّحل الذين ليْسوا من أهل البلاد ، ويحمل الغلْمان والقوْم الزاد لِمَنْ في الكروم أثناء القطاف كما

يحملونه لِلْفعَلَةِ أثناء الحراثة ، ويدوسون العنب بأقدامهم على ماهو معهود من أَمْرِهِ فى فلسطين وسوريا وبلاد الشرق كلّه ، إلا أنه لا بُدَّ لى من الإقرار بأن هنالك بعضاً من الأدلَّه يتعذّر تطبيقها على ماكان شائعاً فى ذلك الزمن فى فلسطين ، منها : الاشارة إلى كيفية تنظيف براميل النبيذ وجدلها لهذا الغرض ، والمعروف فى فلسطين قديماً — وفى يومنا الحاضر — أن الخمور توضع فى جرارٍ كبيرة أو فى زِقاقٍ ، ومنها : الإشارة إلى الفرَق بيْن إعدام السارق شَنْقاً وإعدام القاتل بقْطع الرأس ، وهو ممّا لم أقِفْ له على أثرٍ من التاريخ القديم لفلسطين ، ومهما يكُن من الأمر فإن الأوصاف التى تنطبق على إيطاليا تنطبق أيضاً على بلاد الأندلس من كل وُجْه .

وسواء كان كاتب الإنجيل [إنجيل « برنابا »] يهودى الأصل ، أو نَصْرانيَّهُ ، فممّا لاشُبْهة فيه أنه كان مُسْلماً .. !!؟ ، ومما يبْعث على الأسى فُقْدان النُسخْة الإسبانية التى مرّ بيانها ، وخصوصاً لأن العلماء الذين وصلت تلك النسخة إلى أيديهم لم يبْحثوا فيها بحْثاً عِلْميّاً كما فعلوا في النسخة الإيطالية ، وخصوصاً لأننا لانعرف شيْئاً عن مُترجمها : « مصطفى العرنْدى » لأن ترجمة جياة مسلم نظيره أتقن اللغتيْن الإيطالية والإسبانية ، وهما اللغتان اللّتان ظهر بهما إنجيل « برنابا » إلى الوجود ، لاتَخْلو من أهميةٍ وتبصرة .

ولقد علمتَ مِمّا مرَّ بك أن الثقات مجمعون على أن إنجيل « برنابا » كُتب فى القرون الوسْطى ؛ غير أن هنالك دليلاً أكيداً يتمكن معه من الجزم بشأن الزمن الذى كُتب فيه ، فقد وَرَد فيه مانصُّه[٦] : [إن سنة « اليوبيل » التى تجىء الآن مرَّةً كُل مائة سنة] ... ،

(٦) ص : (١٢٣) — (١٢٥) .

والمعروف أن « اليوبيل » اليهودى لم يحدث إلا مرةً كل خمسين سنة ، وليس من ذِكْرٍ فى التاريخ لِـ « يوبيلٍ » يقع كل مائة سنة إلا فى الكنيسة الرومانية ، وكان أوّل من احتفل به البابا « يونيفا سْيُوس » ــ الثامن ــ ، سنة (١٣٠٠)م ، وقال بِلُزُوم تكراره فى كُلِّ فَجْر قَرْنٍ جديد ، ولكن « اليوبيل » الأوّل فى السنة المذكورة كان باهراً جدّاً ، ودرَّ على الخزينة البابويّة خيراً كثيراً ، فلهذا .. وإجابة لرغائب الشعب رأى الباب «إكليمينضُوس» ــ السادس ــ فى سنة (١٣٩٨م)، أن يحتفل به مرةً كل ثلاث وثلاثين سنة تذْكاراً لِعُمر « المسيح » ، ثم جعله البابا « بولس » ــ الثانى ــ كل خمس وعشرين سنة مرةً ... ، فنرى ممّا تقدّم أن الزمن الوحيد الذى يمكن فيه لكاتبٍ أن يتكلّم عن « يوبيلٍ » يقع مرةً كل مائة سنة هو النصف الأوّل فى القرن الرابع عشر ، ويترتّب على هذا أن يكون الكاتب معاصراً للشاعر « دنْتِ » الشهير ــ على مامرَّ الإِلْماعُ إليه في محلّه ؛ غيْر أنك إذا أعملْت النظر فيما كان عليه الكاتب من سعة الاطلاع على أسفار العهْد القديم (التوراة) تعذّر عليك أن تفْقه كيف يقع مثله فى غلطٍ لايخفى على البُسطاء ، ولعلّ الصواب أن هنالك خطأً فى النسْخ أسقط الناسخ فيه بعض حروف من كلمة خمسين الإيطالية فصارت تُقْرأ مائة ، لأن فى رسم الكلمتيْن مايسهل الوقوع فى مثل هذا الخطأ .

على أن القوْل بانتحال أحد كُتّاب القرون الوسطى لهذا الانجيل برمَّته لايخْلو من نظر ، لأن نحوه أو ثلثه على الأقل يتّفق مع مصادر أخرى غير التوراة والانجيل والتلمود والقرآن إذْ فيه تفاصيل ضافية الذيول لم يردْ لها ذكر فى الأناجيل إلّا على طريق الاقتضاب ، وليس لبعضها ذكر بالمرة ، وأن على كثير من هذه المزيدات صبغة القدميّة ، ويذكر التاريخ

أمراً أصدره البابا « جلاسيوس » الأوّل ـــ الذى جلس على الأريكة البابويّة سنة (٤٩٢)م يعدِّد فيه أسماء الكُتُب المنهيّ عن مطالعتها وفى عدادها كتاب يسمّى : [إنجيل « برنابا »] ؛ فإذا صحَّ ذلك كان هذا الإنجيل موجوداً قبل ظهور نبيّ المسلمين بزمنٍ طويل ، وهو دليل على أن هذا الإنجيل لم يكن لابساً حينئذٍ هذا الثوب القشيب الذى يرفُل فيه الآن ، مجرَّد إصدار البابا المشار إليه نهْياً عن مطالعته دليلٌ على شيوعه أو على اشتهار أمره بيْن خاصة العلماء إن لم يكن بيْن العامة ، فمن المستبعد أن لايتصل خبره ولوْ سماعاً بنبى المسلمين وفيه العبارات الصريحة المتكرّرة بل الفصول الضافية الذيول التى يذكر اسمه فى عرضها ذكراً صريحاً لا يقْبل شكاً أو تأويلاً لاسيّما بعد أن نهض تلْك النهضة التى مادتْ لها الجبال الراسيات ، ونفخ في قومه تلك الروح التى وقف لها العالم متهيّباً ذاهلاً ، وجرى ذكره على كل شفةٍ ولسان ، وأتى من عظائم الأمور ماكان سَمَرَ القوْم وحديث الرُّكْبان ، وليس ذلك فقط .. ، بل لم يتصل أيْضاً شيء من ذلك بخلفائه الذين أتوا من بعده ، حتى ولا بالعرب الذين دوخوا الأندلس ، وبسطوا ظل مجدهم عليه ، ويذهب بعض العلماء المدقّقين إلى أن أمر البابا « جلاسْيوس » المنوّه عنه إنّما هو برُمَّتِهِ تزوير ، وهو قوْل موسوعات العلوم البريطانية أيضاً .

بيْد أن هنالك إنْجيلا يُسمى الإنجيل « الأغنسْطى » طمست رسومه وعَفَتْ آثاره ، يبتدىء بمقدِّمةٍ تندِّد بالقديس « بولس » وينتهى بخاتمة فيها مثل ذلك التنديد ، ويذكر أن ولادة « المسيح » أتت بدون ألم ، ولما كان كل ذلك في إنجيل « برنابا » فمن المحتمل أن يكون ذلك الإنجيل « الاغنسْطى » أباً لإنجيل « برنابا » هذا ، وأن أحد مُعْتنقى الاسلام من اليهود أو النصارى عثر على نسخةٍ منه في اليونانية أو اللاتينية

فى القرن الرابع عشر او الخامس عشر فصاغةُ فى القالب الذى تراه فيه الآن ، فخفى بذلك أصله .

ويعتمد هذا الإنجيل فى إيراد هذه الشواهد على الأسفار المعهودة للعهْد القديم ، فقد استشهد منها بآثنيْن وعشرين سِفْراً أخصّها « الزَّبُور » وسِفْر «أشعْيا» وأسفار «موسى» ، وأكثر رواياته منطبق على الأناجيل الأربعة ، وبعضها موافق لها بالنّص خلا بعض اختلافاتٍ لايُعْبأ بها ، كمحادثة « المسيح » المرأة السامريّة ؛ ويتضمّن أيضاً جُملاً واردة فى الرسائل إلا أنها قليلة جدّاً ، وذكر فى قصة « حجى وهوشع » أن الناس لايصدّقونها مع أنها مسطورة فى سِفر « دانيال » ، ولا وجود لها فى السِّفْرِ المذكور ـــ كما هو فى العهْد القديم ـــ ، وجاء فى عرض رواياته له ؛ كان يوجد كتاب فى مكتبة رئيس الكهنة عن « إسماعيل » يذكر فيه أنه هُو ابن الموْعد ، ولم أَقِفْ على ذكْرٍ لهذا الكتاب فى غير هذا الموْضع .

ويُباين هذا الإنجيل الأناجيل الأربعة المشهورة في عدة أمورٍ جوهرية ، أوّلها : قوله إن « يسوع » أنكر ألوهيته وكوْنه ابن الله ، وذلك على مرأى ومسمع من ستمائة ألف جندى ، وسكان اليهوديّة ، من رجال ونساء وأطفال .

والثانى : أن الابن الذى عزم « إبراهيم » على تقديمه ذبيحةً لله إنما هو « إسماعيل » لا « إسحاق » ، ولأن الموْعد إنما كان بإسماعيل .

والثالث : أن « مسِّيا » أو « المسيح » المنتظر ليس هُو « يسوع » بل « محمد » ؛ وقد ذكر « محمداً » ـــ « ﷺ » ـــ باللفظ الصريح المتكرِّر فى فصول ضافية الذيول ، وقال إنه رسول الله ، وأن « آدم » لمّا طُرِدَ من الجنة رأى مسطوراً فوق بابها بأحْرُف من نور :

والرابع : أن « يسوع » لم يُصْلب ، بل حُمل إلى السماء ، وأن الذى صُلب إنما كان « يَهُوذا » الخائن الذى شُبِّه بِهِ ، فجاءَ مطابقاً للقُرْآن :
﴿ وماقَتَلُوهُ وماصَلَبُوهُ ولكنْ شُبِّه لَهُم ﴾

ويُباين الأناجيل الأصليّة[7] أيْضاً فى بعض أساليبه لأنه كثيراً مايخوض فى المسائل الفلسفيّة والمباحث العلميّة مما لم يُرْوَ قطّ عن « المسيح » الذى كانت تعاليمه الباهرة ومباحثه الدينيّة على ماهى عليْه من التفرُّد وفى السُّمُوِّ عنوان البساطة حتى كان يفهمها لأوّل وهْلةٍ الزراع والصانع والسيِّد والخادم والشَّيْخ والفتى دون أدْنى إجهادٍ لِلذِّهْن .

والفلسفة التى تتخلّل مباحث هذا الانجيل إنما هى ضَرْبٌ من فلسفة « أرسطوطاليس » التى كانت شائعةً فى أوائل القرون الوسطى فى أوروبا ، فكان ذلك من جُملةِ الأدلّة عند بَعْضهم على أن كاتب هذا الإنجيل رجل نَبَغَ هناك فى تلْكَ العصور ، فهو غَربىٌّ المحْتِد لاعَرَبيُّه ؛ ولكن فلسفة « أرسطوطاليس » لم تصل إلى الغربيين إلا من العرب ، وخصوصاً عرب الأندلس الذين دوّخوا إسبانيا وأضاءوا بمشكاة علومهم تلك الأعصُر الأوروبية التى كان الجهل مخيماً فيها ، ظلمات بعضها فوق بعضٍ ، فإذا صح اعتبار تلْك الفلسفة دليلاً على الكاتب كانت أدلّ على أصْلٍ عربىّ منها على أصْلٍ غربىّ .

وكَيْف كان الحال فيه ... ، فالحقيقة التى لامراء فيها أن كاتب انجيل « برنابا » كان على جانب كبير من الفلسفة ، وسمُوّ المدارك ، وقُوّة الحجّة ، وشدّة العارضة ، وجلاء البيان ، **وأن** مباحثه الفلسفية فى

(٧) اعتقاداً من المترجم بصحّة هذه الأناجيل ، وهو الذى أخضع **انجيل « برنابا »** لبعض الأقيسة العلميَّة فى التوثيق ، فلماذا لم يعتمد نفس الأسلوب مع الأناجيل (الأصليَّة) **؟؟!!** .

الجسد والحسّ والنفس من الوجْهة الدينية لمَنْ أسمى ماكتب الباحثون الدينيّون فى هذا الموضوع .

ومن الغريب أن هذا الإنجيل على مافيه من سُمُوّ المدارك وبلاغة التعبير والتضلُّع من الفلسفة الدينية لايخْلو من التفاوت البعيد .

ولاريْب فى أن الكاتب كان على ماتقدمَ الالماعُ إليه بارعاً جدّاً فى أساليب التعبير وإقامة الحجج والأدلة ، ولكنه كان بارعاً أكثر من اللازم حتى ربّما جاوز الغرض ، وما جاوَزَ حدَّه جاوَرَ ضِدَّه ، ولو أشار إلى مجىء « الرسول » نبىّ المسلمين من طرْفٍ خفىّ ، بإشاراتٍ تنطبق عليْه دون التّصْريح باسمه الصريح تكرارا ، ولشروح ضافية الذيول ، ودون أن يذكر شيْئاً عن الشهادتيْن يقول : إن أبانا « آدم » رآهما مسطورتيْن بأحْرف من نور فوق باب الجنّة لكانٍ أصلح للغاية التى يرمى إليْها .

وبعد كل ماتقدم ، فإن هذا الإنجيل قد أتى على آيات باهرة من الحكمة ، وطرازٍ راقٍ من الفلسفة الأدبية ، وأساليب تسحر الألْباب ببلاغتها السامية على مافيها من البساطة فى التعبير ، وهى مايرمى إلى ترقية العواطف البشرية إلى أُفُق سامٍ وتنزيهها عن الشهوات البهيميّة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حاثاً على الفضائل مقبحّاً للرذائل داعياً الإنسان إلى تضحية نفسه فى سبيل الإحسان إلى الناس حتى يزول منه كل أثر للأنانية ، ويحيا لنفْع إخوانه .

ولابُدَّ قَبْل الختام من الإلمام إلى أننِى آليْت على نفسى ترجمة هذا

الإنجيل بالحرف الواحد ، متوخّياً أبسط الألفاظ وأسهل الأساليب ، معْرضاً فى ذلك عن تنميق العبارات وتوْشية الكلام ، مفضّلاً الأمانة فى الترجمة ، والبساطة فى التعبير على الفصاحة والبلاغة متى كان فيهما أقل عدولٍ عن الأصل فهو مطابق من كل وجْهٍ للترجمة الانجليزية المأخوذة من الأصلِ الايطالى خلا الأعداد الموجودة فيه فإنى وضعتها من عندى تسهيلاً للاشارة إلى الكلام عند الحاجة .

وإنى أُسدى فى هذا الموقف أجمل الشكر وأطيب الثناء إلى حضرة العالم المحقق « لونسدال راغْ » نائب مطران الكنيسة الانجليزية فى « فنيس » ، وعلى حضرة العالمة المدققة « لوراراغ » عقيلته اللذيْن أذنا لى بترجمة هذا الإنجيل إلى العربية عن ترجمتهما الإنجليزية التى أصدراها حديثاً مع الأصل الإيطالى فخدما بذلك التاريخ خدمة يذكرها لهما العلْم معطّرة الثناء لما عانيا فى دقّة الترجمة والمحافظة على الأصل وهو عمل شاق لا يقدّره قدْره إلا من يقوم بمثله ، وأُهدى مثل هذا الشكر إلى حضرة الفاضل أمين مطبعة « كلارنْدن » فى « أكْسفُوردْ » التى التزمت طبع هذا الإنجيل ووضعتْ بيْن أيدى القراء كتاباً نادراً فكان ذلك من أجلّ الخدمات العلمية المتعددة التى قامت بها هذه المطبعة الشهيرة .

ولا أرى مندوحة فى الختام من التنبيه إلى أنى قد التزمت فى هذه المقدمة البحث فى هذا الإنجيل فى الوجهتّيْن التاريخيّة والعلميّة فقط لأنى ترجمتُهُ كما جاء فى صدر هذه المقدمة خدمةً للتاريخ دون سواه ، ولذلك قد أعرضْت كُلّ الإعراض عن المناقشات الدينيّة المحضة التى أتركها لمن هم أكثر منّى كفاءَةً .

القاهرة فى ١٥ مارس سنة (١٩٠٨)م

خليل سعادة

تعقيب وتساؤلات

هذه هى المقدمة التى صَدّر بها الدكتور « خليل سعادة » ترجمته لكتاب « إنجيل برنابا » ، ولقد كان من أمانة البحْث ، واتّساق التمهيد والدَّرس أن نُوردها بتمامها ، لأنها أوّل إطْلالةٍ من نوْعها الوثائقىّ على الفكْر الإسلامى والعربىّ المعاصر .

والملاحظ أن الدكتور « سعادة » فى تقديمه للترجمة (حاول) أن ينْحو ناحية التحقيق الموضوعى ، وليْته فَعَل !!!، إلا أنه ضمَّن هذه المقدّمة (بعض الملاحظات) حوْل الحقيقة التاريخيّة للنُسخة المترجمة ، وغَلَبَ على هذه الملاحظات العابرة طابع التشكيك السَّلْبى ورُوح النَّفْى ....، وكأنّه يردُّها من أَصْلها ، وللأسباب ذاتها التى من أَجْلها حرَّم البابا « جلاسيوس » الأول كتاب إنجيل « برنابا » ، وغيره من الكُتُب التى لم تَرْض عن مضمونها الكنيسة ، وتتنافى مع الأُسُس التى بُنيتْ عليها نصرانيّة الكنيسة .

وإن لنا لتساؤلات :

(أ) ـــ هل « برنابا » شخصيّة حقيقيّة أم أُسطورية مُخْترعة ؟

(ب) ـــ وإذا كان حقيقةً تاريخية فما منزلتُه ودرجتُه ؟ ومامدى صِدْقه وإيمانه ؟

(جـ) ـــ هل الأناجيل الأربعة هى كُلّ ماأُثر عن تلاميذ السيّد « المسيح » ـــ عليه السلام ـــ ، أم أن هُناكَ أناجيل غيرها ؟ وأيُّها إنجيل « عيسى » المنزَّل ، أو الذى جاء به ؟ وأيْن هُو ؟

(د) ــ منذ متى بَدأت المجامع الكنسيّة فى بحْث « طبيعة » السيّد « المسيح » ؟ وماموضوع الخلاف ؟ وإلى متى آستمرّ ؟ وإلى أىّ شىْءٍ انْتهى ؟

(هـ) ــ هل نظرة الكنيسة حالياً ، سواء كانت (كاثُوليكية) أم (أرثوذوكسيّة) أم (بروتسْتينيَّة) أم ... غير ذلك ، واحدة بالنسبة إلى العقيدة فى السيد « المسيح » ــ عليه السلام ــ ؟

(و) ــ هل الطقوس ، أو البرتوكول الدينى (الكنسى) فى حدودِهِ المتداولة المعروفة ، والمعمول بها ، (إنجيليّة) المصْدر ؟ أم ترتيباتُ وتفْسيرات رسولية (بُولُسيَّة)[٨] ؟ وكذلك الأُقْنوم ومفهومه ... وغير ذلك بما تقوم عليه العقيدة !!!

إنّنا نريد أن نقدّم نُوراً ...

لأنه من الظُلْم أن نَتْرك ونتغاضى ، فالإنسانية قَدْرٌ مُشْترك بين بنى الإنسان ، وتحقيقها تحقيق للإنسان ، وعَصَبُ ذلك النصيحة القائمة على أُسُس البحث النزيه المجرَّد عن الهوى ، وفى ترْكها إهدار لحقيقة جزء من البشر ، وأنانيّة لاتليق بكرامة الإنسان كإنسان ، وبالبحث نرفع عنّا عار الأنانيّة ، وبالعلْم يرتفع الإنسان فوق قيم الحيوان الأنانية ، فلِلْعدل والحق والإنسانية نبْحث ، لِنقدِّم نوراً ... ، لنقَدِّم كلمةً سَوَاء !!

---

(٨) نسبة إلى « بولس » أوْ [شاوُل] .

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على « محمد » رسول الله ، وعلى عيسى المؤيّد بروح الله ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإننا نرى مؤرخى النصرانية قد أجمعوا على أنه كان فى القرون الأولى للمسيح « عليه السلام » أناجيل كثيرة ، وأن رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل ورفضوا الباقى ، فالمقلّدون لهم من أَهْل ملّتهم قَبِلُوا آختيارهم بغير بحثٍ ، وسيكون ذلك شأن أمثالهم إلى ماشاء الله .

وأما من يحبّ العلم ويجتنب التقليد من كُلّ أُمّةٍ فهو يودّ إذا أراد الوقوف على أصل هذا الدين وتاريخه لو يطّلع على جميع تلك الأناجيل المرفوضة ، ويقف على كل مايمكن الوقوف عليه من أمرها ، ويبنى ترجيح بعضها على بعضٍ بعد المقابلة والتنظير على الدلائل المرجحة التى تظهر له هو وإن لم تظهر لرجال الكنيسة .

لو بقيت تلك الأناجيل كلها لكانت أغزر ينابيع التاريخ فى بابها ، ماقُبل منها أصْلاً للدين ومالم يُقْبل ، ولرأيْت لعلماء هذا العصر

(٩) الناشر : السيد (محمد رشيد رضا الحسينى) . صاحب (دار المنار) .

من الحكْم عليها والاستنباط منها بطرق العلْم الحديثة المصونة بسياج الحرية والاستغلال فى الرأى والإرادة .. مالايأتى مثله من رجال الكنيسة الذين اختاروا تلْك الأربعة ورفضوا ماسواها .

إنجيل « المسيح — عيسى بن مريم » — عليه السلام — واحد !!! وهو عبارة عن هديه وبشارته بمن يجيء بعده ليتمَّ دين الله الذى شرعه على لسانه وألسنة الأنبياء من قبْله ، فكان كل منهم يبيّن للناس منه مايقْتضيه استعدادهم ، وإنما كثرت الأناجيل لأن كل من كتب سيرته « عليه السلام » سمّاها إنجيلاً لاشتماله على مابشّر وهدى به الناس .

ومن تلْك الأناجيل : « إنجيل برنابا » ... ، و« برنابا » حوارى من أنصار « المسيح » الذين يُلَقِّبهم رجال الكنيسة بالرُّسُل ، صحبه « بولس » زمناً ، بل كان هو الذى عرَّف التلاميذ بـ« بولس » بعدما اهتدى « بولس » ورجع إلى « أورشليم » ، فلَعَلَّ تلاميذ « المسيح » ماكانوا ليثقوا بإيمان « بولس » بعد ماكان من شدَّة عداوته لدينهم لوْلا « برنابا » الذى عرفه أوّلاً وعرَّفهم به بعد أن وثِقَ به .

ومقدمة هذا الإنجيل الذى نُقدِّم ترجمته لقُرّاء العربية اليوم ناطقة بأن « بولس » انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقّاه الحواريّون عن « المسيح » ؛ ولكن تعاليمه هى التى غلبت وآنتشرتْ واشتهرتْ وصارت عماد النَّصْرانية .

ويذهب بعض علماء الإفرنج إلى أن إنجيل « مرقص » وإنجيل « يُوحنّا » من وضْعه كما فى دائرة المعارف الفرنسيّة ، فلا غَرْو إذا عدَّت الكنيسة إنجيل « برنابا » إنجيلاً غير قانونىّ ، أو غير صحيح .

لم نقِفْ على ذِكْرٍ لإنجيل « برنابا » فى أسفار التاريخ أقدم من

المنشور الذى أصْدره البابا « جلاسْيُوس » ــ الأول ــ فى بيان الكُتُب التى تحرُم قراءتها ، فقد جاء فى ضِمْنها إنجيل « برنابا » ؛ وقد تولّى « جلاسيُوس » البابويّه فى أواخر القرن الخامس للميلاد ، أى قَبْل بعثة نبيّنا « ﷺ » ؛ على أن بعض علماء أوروبا يرتابون اليوم فى ذلك المنشور كما ذكر الدكتور « سعادة » فى مقدِّمته ، والمثْبت مُقدَّم على النافى .

مرّت القرون وتعاقبت الأجيال ولم يسمع أحد ذكْراً لهذا الانجيل حتى عثروا فى أوروبا على نسخةٍ منه منذ مئتى سنة فعدّوها كنزاً ثميناً ، ولو وجدها أحد فى القرون الوسطى ، قرون ظلمات التعصُّب والجهل ، لما ظهرت .. ، وأنّى يظهر الشىْء فى الظلمة ؟ والنُّور شرط الظهور !!

ظهرت هذه النسخة فى نور الحرية المتألّق فى تلك البلاد ، وكانت موضع اهتمام العلماء وعنايتهم ، وموضوع بحثهم وآجتهادهم ، وانبرى بعض فضلاء الإنجليز لترجمتها بالانجليزية وتعميم نشرها ، وقد أُهديت إلينا نسخة منها عند نشرها ، فرأينا أنه يجب أن لايكون حظّ قُراء العربيّة منها أقلّ من حظّ قرّاء الانجليزية ، فكاشفنا بذلك صديقنا الدكتور « خليل سعادة » فوافقتْ رغبته رغبتنا ، وترجم النسخة بالعربية ترجمة حرفيّة ، وباشرنا طبعها بعد معارضتها معه على الأصل لأجّل الدقّة فى تصحيحها .

بحث علماء أوروبا فى هذه النسخة وكتبوا فى شأنها فصولاً طويلة لخصّها الدكتور « سعادة » فى مقدمته ، فمن مباحثهم ماهو علمى دقيق ككلامهم فى نوْع ورقها وتجليدها ولغتها ، ومنها ماهو من قبيل الخرْص والتخمين كأقوالهم فى الكاتب الأول لها ، والزمن الذى كُتبت فيه ، وتبعهم فى مثل هذا البحث أصحاب مجلتىْ : « المقتطف » و« الهلال » .

ويجب أن ننبّه فى هذا المقام على قاعدة من قواعد البحث الفلسفيّة ، وأصل من أصوله العقلية ، وهى قاعدة إطلاق البحث أو بنائه على أُسِّهِ ولو مفروضاً ؛ فإن كثيراً من الباحثين يبنون أبحاثهم على فرْضٍ يتخذونه قاعدةً مسلّمة ، ورُبّما كان فاسداً ، فيجيء كل مابُنى عليه مثله ، لأن مابُنى على الفاسدِ فاسدٌ حتْماً .

مثال هذا ماآمتحن به بعض الفلاسفة تلاميذه وهو أنّه عمد إلى جرَّةٍ كانت فى الشمس فقلبها من غير أن يروه ، ودعاهم فقال : إنى أرى وجْهِ هذه الجرة المقابل للشمس بارداً ، ثم قلبها ولمس الجانب الآخر معهم فإذا هو سُخن ، فطالبهم بعِلَّة ذلك ، فطفقوا ينتحلون العلل ، وهو يردّها ، ولما سألوه عن رأيه فى ذلك قال : إنه يجب أن يتثبّت من صحة الشيء أولاً ثم يبحث عن عِلَّته ؛ وكوْن الجانب المقابل للشمس من هذه الجرّة بارداً والجانب المقابل للأرض سُخْناً غير صحيح ، بل قلبْتها أنا لأختبر فِطْنتكُم .

وكذلك فعل بعض الباحثين فى إنجيل « برنابا » ، فَرَضُوا أنه من وضْع بعض المسلمين ، ثم حاولوا فى حذرٍ تعيين واضعه ، هل هو عربى ؟ أم شرقى عربى ؟ أم عجمى قديم ؟ أم حادث ؟ وما قال فيه أحد قوْلاً إلّا وَجَدَ مِنَ الباحثين مَن يفنّده ، حتى رأى الدكتور « سعادة » بعد الاطلاع على تلك الأقوال أن الأقرب إلى التصوّر أن يكون كاتبه يهودياً أندلسيّاً من أهل القرون الوسطى ، تَنَصَّر ثم دخل فى الاسلام وأتْقن اللغة العربية ، وعرف القرآن والسنّة حقّ المعرفة بعد الإحاطة بكُتب العهد العتيق والجديد .

واستدلّ على هذا الفرض بعلمه الواسع بأسفار العهد القديم

وموافقة التَلموذ وإحاطته بالعهد الجديد ، وغفل عن عَزْوه إلى كُتُب العهْدَيْن مالا يوجد فى نُسخِها التى عرفت فى القرون الوُسْطى ، وهى التى بيْن أيدينا الآن ، كَعَزْو قِصَّة « هوشع »و« حجّى » إلى كتاب « دانيال » ، وعن مخالفته لها أحياناً فى مسائل أُخرى ، ولو كان من أهل القرون الوسطى ومابعدها لما وقع فى هذا الغلط الظاهر مع علْمه الواسع .

واستدل أيْضاً بموافقة بعض مباحثه للقرآن والأحاديث ، وماكل ماوافق شيْئاً فى بعض مباحثه يكون مأخوذاً منه ، وإلّا لَزِم أن تكون التوراة مأخوذة من شريعة « حمُورابى » لاوحْياً من الله لِـ« موسى » — عليه السلام — .

على أن معظم مباحث هذا الإنجيل لم تكُن معروفة عند أحدٍ من المسلمين ، وأسلوبه فى التعبير بعيد جدّاً من أساليب المسلمين عامة والعرب منهم خاصة ، كما بيَّن ذلك بعض القسيسين فى مجلّة دينيّة ، وأى مسلم يذكر الله ولايُثنى عليه ، والأنبياء ولا يُصلّى عليهم ، ويسمّى الملائكة بغير الأسماء الواردة فى الكتاب والسنّة .

وقد كانت مسألة « اليوبيل » أقوى الشبهات عندى على كوْن كاتبه من أهل القرون المتوسطة لامن قرْن المسيح ، حتى بيّن الدكتور « سعادة » ضعفها بدقة نظره فلم يبقِ للباحثين دليل يعوّل عليه فى هذا المقامِ فإن موافقة بعض مافيه لبعض ماورد فى شعر « دانتى » يمكن أن يُعلِّل بأن « دانتى » اطلَع عليه وأخذ منه إن لم يكن ذلك من قبيل توارُد الخواطر .

أما الهوامش العربية التى وجدت على النسخة فيحتملُ أن تكون

للراهب « فرمرينو » الذى اكتشف هذا الانجيل في مكتبة البابا بأن يكون دخوله فى الإسلام حمله على تعلُّم العربية حتى كان مبلغ علمه فيها أن يترجم بعض الجمل بعبارة سقيمة تَغْلب عليها العُجْمة ومافيه من العبارات الصحيحة على قِلّتها لاينافى ذلك ، فإن كل من يتعلم لغةً « أجنبيّة » فى سِنّ الكبر تكون كتابته فيها لأوّل العهْد من هذا القبيل : صواب قليل ، وخطأ كثير ، على أن أكثر العبارات الصحيحة فى هذه الهوامش منقول من القرآن أو بعض الكتب العربية التى يمكن أن يكون قد اطلع عليها الكاتب . ويحتمل أن يكون بعض القُسُوس أو مَنْ هم شاكلتهم قد تعلَّم العربية ليتبيّن هل فيها مصادر لهذا الإنجيل يمكن إرجاعه إليها ؛ ويُرجح هذا الاحتمال تَسْميته الفصول سُوَراً تشبيهاً له بالقرآن ، أما عَزْو هذه الهوامش إلى مسلم عريق فى الاسلام فخطأ لا يحتمل الصواب ، إذ لايوجد مسلم عربى ولاعجمى يطلق لفظ السُّوَر على غير سُوَر القرآن ، أو يقول : « سبحان الله » كما جاء فى مواضع ، منها : هامش (ص — ١٤١ ،١٦) لأن كلمة : « سبحان الله » مما يحفظه كل مسلم من أذْكار دينه ، أو يقول : « ميخائيل » بدل « ميكائيل » ، ويجهل اسم « إسرافيل » فيسميه « أوريل » ، أو يقول : إن السماوات أكثر من سبْعٍ ، وإن كان العدد لامفهوم له كما قال علماء الأصول ؛ ولذلك أمثلة أخرى .. ، أضفْ إليها عدم اطلاع علماء المسلمين فى الأندلس وغيرها على هذا الإنجيل كما حقّقَه الدكتور « مرْجليُوث » مؤيّداً تحقيقه بخُلُوِّ كُتُب المسلمين الذين ردّوا على النصارى من ذكره ، وناهيك بـ « ابن حَزْم الأندلسى » و« ابن تيْمية » المشرق ، فقد كانا أوسع علماء المسلمين في الغرب والشرق اطلاعاً كما يُعلم من كُتبهما ، ولم يذكرا فى ردِّهما على هذا الإنجيل .

بقى أمر يستنكره الباحثون فى هذا الانجيل علمياً لادينياً أشد الاستنكار وهو تصريحه باسْم النبى « محمد » ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ قائلين : لايعقل أن يكون ذلك كُتِبَ قَبْل ظهور الإسلام إذ المعهود فى البشارات أن تكون بالكنايات والإشارات ، والعريقون فى الدين لايروْن مثل ذلك مستنْكراً فى خبر الوحْى ، وقد نَقَل الشيْخ « محمد بَيْرم » عن رحّالة انجليزى أنه رأى فى دار الكتب البابويّة فى « الفاتيكان » نسخة من الانجيل مكتوبه بالخط الحِمْيرى قبل بعثة النبى « ﷺ » ، وفيها يقول « المسيح » : [**ومُبَشّراً برسُولٍ يأْتى من بَعْدى اسْمُه أَحْمد**] . وذلك موافق للنّص القرآنى بالحرْف ، ولكن لم يُنْقل عن أحدٍ من المسلمين أنه رأى شيئا من هذه الأناجيل التى فيها البشارات الصريحة ، فيظهر أن فى مكتبة « الفاتيكان » من بقايا تلك الأناجيل والكتب التى كانت ممنوعة فى القرون الأولى مالَوْ ظهر لأزال كل شُبهةٍ عن إنجيل « برنابا » وغيْره .

على أنه لايبعد أن يكون مترجم إنجيل « برنابا » باللغة الإيطالية قد ذكر اسْم « محمد » ترجمةً ، وأنه فى الأُصل الذى ترجم هو عنه قد ذكر بلفظ يفيد معناه ، كلفظ : « البارقليط » ومثل هذا التساهل معهود عند المسيحيين فى الترجمة كما بيّنه الشيخ « رَحْمَةُ الله » بالشواهد الكثيرة من كُتُبهم فى الأمر السابع من المسلك السادس من الباب السادس من كتابه : [إظهار الحقّ] ، وزاده بعد ذلك بياناً فى البشارة الثامنة عشرة .

ولايحسبنّ القارىء المسلم أن علماء أوروبا وبعض علماء بلادنا كالدكتور « سعادة » وأصحاب « المقتطف » و« الهلال » يظهرون

الرَّيب فى هذا الإنجيل الموافق فى أصول تعاليمه للإسلام تعصُّباً للنصرانية فإن الزمن الذى كان التعصب فيه يحمل العلماء على طمْس الحقائق التاريخيّة وغيرها قد مضى .

وقد بحث علماء أوروبا مثل هذه المباحث فى الأناجيل الأربعة فبيّنوا أنه لايُعرف متى كُتبت ولا بأىّ لُغةٍ أُلِّفت ، وقال بعضهم إن مؤلفيها غير معروفين ، واتهم بعضهم « بُولُس » بوَضْع أكْثرها ، كما ترى فى دائرة المعارف الفرنسية وغيرها ، بل منهم من جعل أصول تعاليمها مأخوذة من الأديان الوثنيّة .

أكثر العلماء فى هذا العصر أحرار مستقلّون فى مباحثهم ، إلّا من غلب عليهم التقليد الدينى أو مصانعة المتدّينين ، ألا ترى أن الدكتور « مرجليوث » الانجليزى هو الذى دحض شُبهة من قال إن لهذا الإنجيل أصلاً عربياً وأنه من وضْع المسلمين وأن الدكتور « سعادة » هو الذى فَنَّد رأى المستدل على كونه من وضْع القرون الوسطى بما فيه من ذكْر كون « اليوبيل » كل مائة سنة ، وأن أصحاب « المقتطف » يجوِّزون أن يكون له أصل تُرجمت عنه النسخة الإيطالية ، ويحثون على البحْث عنها ، فأمثال أولئك العلماء يجب احترام رأيهم وإن لم يكن دليله واضحاً وتعليله ظاهراً .

ومَنْ لاحظ أن بعض القسيسين يجعلون العمدة فى إثبات الأناجيل الأربعة مافيها من التعاليم الأدبية العالية ثم قرأ تعاليم إنجيل « برنابا » يظهر له مكانه العالى فى تعاليمه الإلهيّة والأدبيّة ، فإذا صرفْنا النظر عن فائدته التاريخيّة ، وعن حُكْمه لنا في المسائل الثلاث الخلافية : التوحيد ، وعدم صلْب « المسيح » ونُبوّة « محمد » — ﷺ —

فحسْبُنا باعثاً على طبعه وراء قيمته التاريخية مافيه من المواعظ والْحكم والآداب وأحاسن التعاليم .

والله يهدى من يشاء إلى صراطٍ مستقيم

القاهرة فى (٢١) صفر ، سنة (١٣٢٦)هـ

محمد رشيد رضا الحسيْنى

(منشىء المنار)

نَظَرات ...

برنابا وإنجِيله

١ ـــ جاء فى (رسالة الأعمال) المنسوب تدوينها إلى « لُوقا » قَوْله فى (الإصْحاح الرابع) :

[و « يوسف » الذى يلقِّبُه الرُّسُل بـ « برنابا » ، والذى يُترجم بـ « ابْن الوعْظ » ، هو (لاوى) قُبرصىّ الجنس ، إذ كان له حَقْل فباعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أَرْجُل الرُّسُل] .

وفى (الإصحاح التاسع) من نفس الرسالة يقول :

[ولما جاء « شاوُل » ـــ (بولس) ـــ إلى «أورشليم» حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونَهُ غير مُصَدِّقين أنه تلميذ ، فَأَخذه « برنابا » وأَحضرهُ إلى الرُّسُل وحدَّثَهم كيْف أَبصر الرَّبَّ فى الطريق]

وفى (الإصحاح الحادى عشر) من نفس الرسالة أيضاً يقول « لوقا » :

[فسمع الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى « أورشليم » ، فأرسلوا « برنابا » لكى يجتاز إلى « انطاكية » ، لأنه كان رجُلاً صالحاً ، وممتلئاً من الروح القُدُس والإيمان]

وفى (الإصحاح الثالث عشر) من الرسالة نفسها ، أيضا وأيْضاً ، يقول « لوقا » :

[وكان فى « انطاكية » فى مجلس يَوْم الجمعة لعددٍ من الأنبياء منهم :

« برنابا » و« سمعان » الذى يُدعى : « تيجر » ، و« لوكْيُوس القيْروانى » ... ، وبَيْنما يخدمون الرب ويصومون ، قال الروح القُدُس : افْرزوا لى « برنابا » و« شاؤل » ـــ (بولس) ـــ للعمل الذى دعوْتُهُما إليه ...]

ويقول :

[وكان معهما « يُوحَنّا » خادماً ...]

ويقول « بولس » فى رسالته إلى أَهل « كولوسى » ـــ الإصحاح الرابع منها ـــ:

[يُسلِّمُ عليكم « أرسترخص » المسجون معي ، و« مُرْقُص » ابن أخت « برنابا » الذى أخذتُم لِأَجْله وصايا من هذه النصُوص الدينية] لاسيّما التى فى سِفْر الأعمال ، وهى الرسائل التى يعتمد عليْها فى شَرْح ماهية التعاليم المسيحيّة أكثر من الأناجيل ... ؛

شخصية برنابا :

من هذه النصوص تظهر شخصيَّةُ « برنابا » بأنه :

(أ) ـــ سخيّ اليد ، مُتبرّع بماله للرُّسل من أجل الدعوة .

(ب) ـــ طاهر ، نقىّ ، مُمْتلىء بالروح القُدُس ، وفاضل كريم شفّاف.

(جـ) ـــ اختاره الروح القُدُس مع « شاول » ـــ بولس ـــ لِنَشْر الدعوة.

(د) ـــ اختارتْه الكنيسة مبعوثاً لها إلى « إنطاكية » و« طرطوس » .

(هـ) ـــ أنه خال «مُرْقص» صاحب الإنجيل الثانى .

(و) ـــ أنه الذى سعى في هداية « شاول » ـــ بولس ـــ الذى كان يعتدى بالقتْل والتشريد على التلاميذ كما ينص (الإصحاح التاسع) فى (رسالة الأعمال) .

نقطتان أساسيتان :

والذى يلفت النظر هنا ويجدر بالاهتمام والبحث ، نقطتان أساسيتان ، هما :

أوْلاً : اتفاق « مرقص » ــ الذى كان تبيعاً لـ « برنابا » يخدمه ــ فى الرأى مع خالِهِ « برنابا » بالقول فى عدم أُلوهية « عيسى » ــ عليه السلام ــ ، وذلك كما نقل إلينا صاحب كتاب (مروج الأخبار فى تراجم الأبْرار) من أن « مرقص » كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه « بُطرس » .

ثانيا : لماذا حرَّمت الكنيسة إنجيل « برنابا » ورفضت الاعتراف به ؟ مع أنه أكرم من « مرقص » و« لوقا » و « يوحنّا » !!! ومع أنه أستاذ لِـ « مرقص » وإمام لِـ « بولس » حسب النصوص المرويّة عن أناجيلهم ورسائلهم ؟؟

وهذا مايتوجب على الباحث المنصف ، والمحقق العدْل ، سواء كان مسلماً أو غير مسلم أن يراعيه احتراما لكرامة العلْم وتنزيهاً للعقْل والفكر عن التعصُّب والجمود ، واتباع الهوى .

مرتبة « برنابا » الدينية :

١ ــ إن فى النصوص التى أوردناها أدلّة قاطعة على منزلة « برنابا » الدينية ، وفى الإصحاح (الحادى عشر) من (رسالة الأعمال) يقول :

[فأرسلوا « برنابا » لكى يجتاز إلى (أنطاكية) لأنه كان رجُلاً صالحاً ، وممتلئاً من الروح القُدُس] .

وفى الإصحاح (الثالث) من الرسالة ذاتها يقول :

[قال الروح القُدُس : أَفْرِزوا لى « برنابا » و« شاؤل » ــ بولس ــ للعمل الذى دَعَوْتُهما إليه] .

٢ ــ فـ « برنابا » ركن من أركان المسيحية الأولى ، وعمادٌ من عُمُدها ، وركيزة أساسية من ركائزها التى تعتمد عليها بفَهْم التلقى ، وصفاء الذات ، وحُسْن التبليغ ، ولهذا يُجْمع المسيحيّون على أنه قدّيس من القديسين ، ورسولٌ من الرُّسُل الذين حلّت عليهم بركات الروح القُدُس ، لكنهم مع كل هذا لا يعدونه حوارياً من الحواريّين ؛ وإن كان إنجيله شخصيًّا يعتبره حواريّاً .

وعلى كل حالٍ فهو أستاذ « مرقص » ، بل « مرقص » خادم له ، وهو إمام « بولس » ــ شاول ــ، بل « شاول » مدين له بالفضل فى تقريبه من التلاميذ الذين أبغضوه وخافوا إجرامه .

وإذاً ... فمنزلة « برنابا » الدينية :

(أ) ــ أنه حوارىّ من الحواريين ، إذا اتبع الباحث إنجيل « برنابا » .

(ب) ــ أو قديس من الرُّسُل الذين لهم سَهْم كبير وقسط وافر من الجهود فى العمل الدينى ، وذلك إذا اتبعْنا آراء المتشدِّدين ، المتعصبين .

منزلة برنابا فى نظر الباحث :

وعلى ضوء هذه الاستنتاجات فإن منزلة « برنابا » الدينية فى الحقبة الأولى والأساسية من تاريخ المسيحية لايمكن أن تقلّ فى نظر البحث العلمى ، ولايمكن أن يغمطها الباحث عن درجة رسول من الرُّسل ، وقديس من القديسين ، ومجاهد كبير ، وداعية مختار ، ممتلىء بالبركة من الروح القدس ... ، فهو من الملهمين المجاهدين الأبرار .

الحواريُّون

من هُم الحواريون ؟

هم أصحاب « المسيح » ــ عليه السلام ــ وخاصته الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه ، وبادروا إلى الإيمان به ، وتتلْمذوا له ، وتعلَّموا مِنْه ، وكانوا اثنى عَشَر رجُلاً ؛ وهذا اللفظ لم يُعرف عبرانيّاً ؛ وأما عربيّاً فقد قال صاحب القاموس :

[وقد جاء إطلاق حوارىّ رسُول الله ــ ﷺ ــ على « الزُّبَيْر بن العوّام » ــ رضى الله عنه ــ]

ويظهر أن لفظ : (الأنصار) فى جانب رسُول الله بمنزلة (الحواريين) فى جانب « المسيح » ــ عليه السلام ــ والأناجيل تعبّر عنهم بلفظ : (التلاميذ) .

يقول الأستاذ « عبد الوهاب النجار » فى كتابه (قصص الأنبياء) :

[وإذا جاز لى هذا اللفظ فإنى أقول : إن معناه : (الإخوان فى طلب العلم) ، من لفظ : (حَبُور) الْعِبْرى وهو : التلميذ ، وجمعه : (حبوريم) ، نُطق به فى العربية : (حوارى وحواريين)] .

وجاء عن « برنابا » في كتاب (الأعمال) :

(ص١١) [٢٢] : (فسمِعَ الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى « أورشليم » ، فأرسلوا « برنابا » لكى يجتاز إلى (انطاكية) [٢٣] الذى لما أتى ورأى نعِمة الله فَرِح وَوَعظ الجميع أن يثبتوا فى الرّب بعزْم القلْب [٢٤] لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والايمان فانْضَمَّ إلى الرب جَمْع غفير) .

(ص١١) [٢٩] (فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم أن يرسل كل واحد شيْئا خدمة إلى الإخوة الساكنين فى اليهودية [٣٠] ففعلوا ذلك مرسلين إلى المشايخ بيد « برنابا » و« شاول ») .

(ص١٢) [٢٥] (ورجع « برنابا » و« شاول » من « أورشليم » بعدما كملا الخدمة وأخذا معهما « يوحنا » الملقب : « مرقص ») .

(ص١٣) [٢] (وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس : أَفْرِزُوا لى « برنابا » و« شاول » للعمل الذى دعوْتهما إليه) .

(ص١٥) [١١] (لكن بنعَمة الرب « يسوع المسيح » نؤمن أن تُخلص كما أولئك أيضاً . [١٢] فسكت الجمهور كله وكانوا يسمعون « برنابا » و« بولس » يتحدثان بجميع ماصَنَعَ الله من الآيات والعجائب فى الأمم بواسطتهم) .

(ص١٣) [٣٤] (أنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أَيْضاً إلى فسادٍ ، فهكذا قال إنى سأُعطيكم مراحم داود الصادقة [٣٥] ولذلك قال أَيْضاً فى مزمور آخر : لن تَدَعَ قُدُوسك يرى فساداً [٣٦] لأن « داود » بعدما خدم جيله بمشورة الله وقد انضم إلى آبائه ورأى فساده [٣٧] وأما الذى أقامه الله فلم ير فساداً)

(ص١٥) [١] (وانحدر قوم من اليهود وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختَتِنوا حسب عادة « موسى » لايمكنكم أن تخلصوا ، فلما حصل لِـ « بولس » و« برنابا » منازعة ومباحثة ليست بقليلة المعنى رتبوا أن يصعد « بولس » و« برنابا » وأناس آخرون منهم إلى الرُسُل والمشايخ فى « أورشليم » من أجل هذه المسألة) .

(ص١٥) [٢٩] (أن تمتنعوا عمّا ذُبح للأصنام وعن الدم المخنوق والزنا التى إن حفظتم أنفسكم منها فَنِعِمّا تفْعلون ، وكونوا مُعافين) .

حوْل إنجيل «برنابا»
ومترجمه الدكتور «خليل سعادة»

بصيصٌ من نور :

(أ) يقول الراهب اللاتينى « فرامرينو » مكتشف نسخة إنجيل « برنابـا » فى مكتبة البابا « سكتُس » ــ الخامس ــ : إنه اَطّلـع قبـل الاكـتشاف على رسالة لِـ « أرْيانوس » استنْكر فيها ماكتبـه « بولس » ، مستشْهـدا بما كتبه « برنابا » ، فدفعه حُبُّ الحقيقة إلى البحث عن إنجيل « برْنابا » ... فَعَمِلَ وَجَدَّ وجاهـد فى سلْك الكهنـوت حتـى وصل إلى مرتبـةٍ ساميـة من نفس البابا « سكتُس » ــ الخامس ــ ، ثم وجد ــ بالصُّدْفـة ــ إنجيـل « برنابا » فى مكتبة البابا الخاصة ، فأخذه وأخفـاه وطالعـه ، وتفهَّمـه ، ثم أسلم .

ويقول الدكتور « سعادة » .

[وإذا تحرَّيْت التاريخ ، وجدت أن زمن البابا « سكـتُس » ــ الخامس ــ نحو أواخر القرن السادس عشر الميلادى]

(ب) ويتفـق مُؤَرِّخـو المسيحيـة على أن أقْـدم نسخـةٍ عثـروا عليْهـا لهذا الإنجيـل ، هى النسخـة المكتوبـة باللغـة الإيطاليـة التـى عثر عليها الـراهِـب « كريمر » أحد المستشارين فى بلاط ملك « بروسيا » عام (١٧٠٩)م .

(جـ) وانتقلتْ هذه النسخة التـى عثر عليها الـراهـب « كريمر » إلى البـلاط الملكى فى « فيينّا » عاصمة النّمْسا ، وهى النسخة التى تُعْتبر مرجعاً لكـل الأناجيل الأُخْرى فى نظر التاريخ .

(د) وإلى جوار النسخة الإيطالية وُجدت نسخة باللغة الإسبانية مترجمة عن اللغة الإيطالية ، غير أنه لم يُعرف بعد من الذى نقلها إلى هذه اللُّغة ، وأما النسخة باللغة الاسبانية فقد نقلها إلى اللغة الانجليزية المستشرق « سايْل » ، وترجمته هذه لم يعرف عنها إلا شذرات ردّدها فى خُطبه الدكتور « هويْت » .

(هـ) ويقول الدكتور « خليل سعادة » :
[أَصْدر البابا « جلاسْيُوس » ـــ الأوّل ـــ أوامره أوّل أن جلس على أريكة البابويّة عام (٤٩٢)م بعدد اسماء الكتب المحرَّمة الممنوع مطالعتها ، ومنها كتاب يُسمّى : انجيل « برنابا »]

فمن هذه النصوص الوثائقية يدرك الباحث إدراكاً جازماً أن إنجيل « برنابا » حقيقة علمية ؛

١ ـــ اتخذت طريقها فى الاختفاء والظهور والترجمة كما جاء توضيحه سابقاً .

٢ ـــ وأنها أغاظت كبار رجال الكنيسة فحرَّمتها ضِمْن التحريمات التى تصنعها البابويّة الغربية ، ولا يُحرَّم إلا ماكان له ذاتٌ تكون محلاً للتَحْريم !!

تمثل تاريخ إنجيل برنابا فى مراحله :

وموجز أمْرِ إنجيل « برنابا » فى السَّرْد التاريخى ، يتلخّص بما يلى :

(أ) ـــ يتفق المؤرخون على أن النسخة الأولى التى عُثر عليْها كانت باللغة الإيطالية ، وهى التى عثر عليها الراهب « كريمر » سنة (١٧٠٩)م .

(ب) ـــ انتقلت هذه النسخة من يد راهب مسيحى إلى البلاط الملكى فى « فيينا » ، فكانت النسخة فى رحاب دَوْلةٍ مسيحيّة عام (١٧٣٨)م

(جـ) ـــ النسخة الاسبانية التى وجدت : كانت فى ظلال دولةٍ مسيحية متعصّبة قامت على أنقاض دولةٍ إسلامية منهارة .

(د) ـــ هذه النسخة ترجمها من الإسبانية إلى الانجليزية مستشرق مسيحى ، والمستشرقون المسيحيون مشهورون بعاطفتهم تجاه مسيحيَّتهم .

(هـ) ـــ ثم جاء دور الراهب « فرامرينو » ، فبحث عنها لأنه وجد لها ذكراً فيما كتبه « أريانوس » يستنكر مخترعاتِهِ « بولس » ، ويستند فى كتاباته إلى إنجيل « برنابا » .

(و) ووصل البحث بالراهب « فرامرينو » إلى أن وجد نسخة من هذا الانجيل فى مكتبة البابا « سكتُس » ـــ الخامس ـــ ، فطالعها ثم أسْلم .

وهذا بإيجازٍ واختصار مجمل تاريخ إنجيل « برنابا » فى مراحله .

استنتاج :

إذاً ، فكاتب إنجيل « برنابا » هو أَحَدُ الحواريين ، أو أحد القديسين الممتلئين بالروح القُدُس ، المجاهدين حق الجهاد فى سبيل الدين الذى جاء به « عيسى » ـــ عليه السلام ـــ .

ولغة التدوين إيطالية أو اسبانية ، والإيطالية هى أساس الاسبانية . ومترْجمُهُ هو الدكتور « سايْل » ؛ وهذه الترجمة شذرات أثناء خطبة الدكتور « هوايْت »

أما زمنُهُ فيرجح المؤرخون أن عمر النسخة الأولى يتحدد مابيْن منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر ، ويرجحون كذلك أن النسخة الإيطالية المكتشفة سنة (١٧٠٩)م ، هى النسخة التى حصل عليها الراهب « فرامرينو » فى مكتبة البابا « سكتُس » ـــ الخامس ـــ .

ومن هذا العرض يفهم الباحث أن إنجيل « برنابا » قد عاش مختفياً ، أو مخفيّاً ، ثم ظهر بلغتيْن (الإيطالية والإسبانية) ، وتُرجم فى جوٍّ مسيحىّ — كامل المسيحية — ، بل فى جَوّ قِمَّة المسيحية : رهْبنةً ، وملكاً ، وترجمة .

فالمكتشف الأول راهب لاتينى « فرامرينو » ؛ من خلال دافع علمى ، كانت إشارته من كتابٍ لِـ « أريانوس » ؛

والمكتشف الثانى راهب يُسمى « كريمر » يعمل فى البلاط الملكى فى « بْروسيا » ، وهى دولة مسيحية ، ثم آل هذا الإنجيل إلى حضانة الدولة فى « فيينا » ، عاصمة « النمسا » ، وهى دولة مسيحية ، ولما ظهرت النسخة الاسبانية ، ظهرت فى دولةٍ مسيحية ، وحين تُرجمت ترجمها مستشرق مسيحى هو الدكتور « سايْل » .

لماذا الشك ؟

إذاً ... فلماذا يشُكّ جانب من المسيحيين فى صِحَّة إنجيل « برنابا » ؟

ولماذا تُحرِّم الكنيسة ، والمجامع المسيحية ، والبابا « غلاسيوس » — الأول — منذ القرْن الخامس الميلادي إنجيل « برنابا » ؟

ذلك أمر خطير ، وجدّ خطير ، بل جدير بالبحْث والدَّرْس والتَّمْحيص ، ...

ولماذا خطورة إنجيل « برنابا » ؟

من أجل أن نقدّم للبحث المستقبلىّ مادَّة علينا أن نُشير إلى حيثيات

خطورة إنجيل « برنابا » ، فلعلها تكون الأساس للمسائل العلمية والدينية التى حملت المجامع ، والبابوية ، والكنيسة ، على اتخاذ قرار بتحريم إنجيل « برنابا » ، وهى :

أولا — أن « برنابا » قديس ، وهو قديس مجاهد ، وليس فى هذا نزاع ، ثم هو أستاذ « مُرْقص » ، وسيِّد « بُولس » — شاوْل —

ثانيا — أنه متفق مع « بطرس » فى الرأى بعدم القول بألوهية السيِّد « المسيح » .

ثالثا — وهُوَ يرى أن الذَبيح من أبناء « إبراهيم » « إسماعيل » لا « إسحاق » — عليهم السلام — .

رابعا — أنه يُبَشّر بـ « محمد » — ﷺ — بالنَّص الصريح .

خامساً — وهو لايتفق مع الأناجيل الأُخرى فى القوْل بالصَّلْب ، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيُجهِّل القائلين بهذا القوْل .

سادساً — ولا يقول بالتثليث ، ولايرى الطرق الجديدة فى المسيحيّة إلا اختراعاً من عمل الناس فيها .

نماذج من نصوص إنجيل برنابا

وإليك بعض نصوص إنجيل « برنابا »

١ — حول نَفْيِ بُنُوة المسيح لله — تعالى — :

[أيها الأعزّاء ... ، إن الله العظيم العجيب قد ٱفتقدنا فى هذه الأيّام بِنَبِيِّه « يَسُوع — المسيح » برحْمةٍ عظيمة ، للتعليم والآيات التى ٱتخذها الشيطان ذريعةً لتضليل كثيرين بدعْوى التقوى ، مبشّرين بِتَعْلِيمِ شديد الكُفْر ، داعين « المسيح » — ابن الله — !!!

ورافضين الْختان الذى أقَر الله به دائماً ، مُجَوِّزين كل لحم نَجس ، الذين ضَلَّ فى عدادهم أَيْضاً « بولس » الذى لا أتكلَّم عنه إلّا مع الأسى ، وهو السبب الذى لأجْله أُسطّر ذلك الحق الذى رأَيْتُهُ] — مقدمة إنجيل « برنابا » .

٢ — وحوْل نَفْيِ التثليث :

[أجاب الكاهن : إن اليهودية قد اضطربت لآياتك وتعليمك ، حتى إنهم يجاهرون بأَنّك أَنْت الله ، فاضطررت بسبب الشعب أن آتى إلى هُنا مع الوالى الرومانى والملك « هيرودس » فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التى ثارت بسببك لأن فريقاً يقول : إنّك الله ، وآخر يقول : إنك ابن الله ، ويقول فريق : إنك نبىّ ...

أجاب « يسوع » :

وأنت يارئيس الكهنة لماذا لاتُخْمد الفتنة ؟!!! وهل جُننْت أَنْتَ أَيْضاً !!! ؟ وهل أَمْست النبوات وشريعة الله نَسْياً مَنْسيّا !!!؟

أيتها اليهودية الشقيّة التى ضلَّلها الشيطان .. !

ولمّا قال « يسوع » هذا عاد فقال :

إنى أشهد أمام السماء ، وأُشهد كل ساكنٍ على الأرض أنى برىءٌ من كل ماقال الناس عنّى من أنّى أعظم من بَشَر ... لأنى بشر مولود من امرأة ، وعرضة لحكْم الله ، أعيشُ كسائر البشر ، عُرضة للشقاء العام] — آخر الفصل الثالث والتسعين .

٣ — وحوْل نَفْى الابنيّة :

[أجاب يسوع : وما قولكم أَنْتُم ؟

أجاب « بُطْرس » : إنّك المسيح ابنُ الله ...

فغضب حينئذٍ « يسوع » ، وانتَهَرَهُ بغضَبٍ قائلاً :

اذهبْ وآنْصرِف عنِّي لَأَنَّك أنت الشيطان ، وتريدُ أن تُسيء إليّ] .

٤ ــ وحوْل إثبات أن الذَّبيح هو « إسماعيل » ــ عليه السلام ــ:

[الحق أقول لكم : إنكم إذا أَمْعَنْتُم النّظر فى كلام الملاك « جبريل » تعلمون خُبْثَ كُتُبنا وفقهائنا لأن الملاك قال : يا « إبراهيم » سيعلم العالَم كله كيف يُحبّك الله ، ولكن كيْف يعلم العالَمُ محبّتك لله ؟ حقاً يجب عليك أن تَفْعل شيْئاً لِأَجْل محبَّةِ الله ...

أجاب « إبراهيم » :

هاهُو ذا عبد الله مُسْتعدّ أن يفعل كُلّ مايريد الله .

فكلّم الله حينئذٍ « إبراهيم » قائلاً :

ــ خُذْ ابْنك البِكْر ، واصْعَدِ الجبل لِتُقَدِّمه ذبيحةً ، فكيْف يكون « إسحاق » البكْر ؟؟ وهُوَ لما وُلِدَ كان « إسماعيل » ابن سَبْع سنين !!!]

٥ ــ وحوْل نَفْى الصَّلْب :

[الحق أقول إن صَوْت يهوذا وَوَجْهَهُ وشخصه بَلَغتْ من الشَّبه بـ « يسوع » أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون بِهِ كافةً أنه

« يسوع » ، كذلك خَرَج بعضُهُم من تعاليم « يسوع » معتقدين أن « يسوع » كان نبيّاً كاذباً ، وإنما الآيات التى فعلها بصناعة السِّحْر ، لأن « يسوع » قال : إنه لايموت إلى وشْك انقضاء العالم ، لأنه سيُؤْخذ فى ذلك الوقتْ عن العالم]

٦ ــ وفى عَوْدة « عيسى » يقول « برنابا » :

[أتْحسبوننى أنا والله كاذبيْن لأن الله وهبنى أن أعيش حتى قُبَيْل انْقضاء العالم ، كما قد قُلْتُ لكم ، الحق أقول لكم : إنّى لم أَمُتْ ، بل يهوذا الخائن ، احذروا ... !! لأن الشيطان سيحاول جَهْده أن يخدعكم ، ولكن كونوا شهودى فى كل بنى إسرائيل وفى العالم كُلّه ، لكُلّ الأشياء التى رأيتُموها وسمعتموها] .

٧ ــ وحوْل الاعتراف بالنبوّة « المحمّدية » يقول « برنابا » على لسان « عيسى » ــ عليه السلام ــ :

[إن الآيات التى يفعلها علَى يدى تُظهر أنى أتكلّم بما يريد الله ، ولستُ أَحْسَبُ نَفْسى نَظير الذى تقولون عنه ، لأنى لستُ أهْلاً لأن أحلّ رباطات أو سيُور حذاء رسول الله الذى يُسمُّونه « مَسِّيا » الذى خُلِقَ قبلى ، وسيأتى بعدى بكلام الحقّ ، ولايكون لدينه نهاية] .

ويقول الدكتور « خليل سعادة » :

(إن المراد فى « مسِّيا » ــ محمد ــ ﷺ ؛)

ويقول :

(إن « برنابا » ذكر « محمداً » ــ ﷺ ــ باللفظ الصريح فى

عِدَة فصول ، ووصفه بأنه رسول الله ، وذكر أن آدم لما طُرِد من الجنّة رأى سطوراً كُتبت فوق بابها بأحرف من نور :

(لا إلٰه إلا الله محمد رسُول الله) .

وليس القوْل قول « برنابا » إنما هو قول « عيسى » — عليه السلام — .

(ولسوْف نأتى على هذه التصريحات — إن شاء الله — حين نَعْرض لِنُقُول من إنجيل « برنابا » مع التعليق عليها) .

هل آن الأوان لتجد التساؤلات الحائرة إجابة شافية ؟!

ولعلّ هذه النصوص ألتى قدّمناها تساعد الباحثين ، من مسلمين وغيرهم على السواء ، ليحدّدوا الإجابة عن الأسئلة التى ملخّصها :

لماذا حرّمت الكنيسة ومجامعها والبابويّة إنجيل « برنابا » ؟ ، مع ملاحظة أن منزلة « برنابا » فى المسيحية إن من حيث المكانة أو الزمن أو الثقافة ... أكبر وأقدم من « مرقص » و« لوقا » و« يوحنّا » ، لعلّهم يهتدون .. !! ، ولعلهم لايُغْلقُون القلُوب والضمائر والعيون عن أنوار الحقيقة ، وإن لم يسلّموا ... فالحقُّ فى ذاتِهِ شىْء ، والهداية أمرها أولا وآخراً إلى الله رب العالمين .

مقارنة

بيْن

الأناجيل الأربعة :

متّى ، مرقص ، لُوقا ، يُوحنا

و

إنْجيل « برنابا »

العقيدة فى الأناجيل الأربعة

١ ــ جاء فى كتاب « سوْسَنَةُ سُلَيْمان » لمؤلفه : « نَوْفل بن نعمة الله بن جرجس » :

[**إن عقيدة النصارى التى لاتختلف بالنسبة للكنيسة ، والتى هى أَصْل الدستور الذى بيَّنه المجمع النِّيقاوى ، هى :**

الإيمان بإلٰهٍ واحد ، أَبٍ واحِدٍ ، ضابط الكُلّ ، خالق السماء والأرض ، كل مايُرى وكل مالايُرى ، وبَربٍّ واحِدٍ « يسوع » الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدُّهُور من نُور الله ، إلٰهٌ حق من إلٰهٍ حق ، مولود من غير مخلوق ، مُساوٍ للأب فى الجوْهر الذى به كل شْىء ، والذى من أَجْلِنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء ، وتَجسَّد من الروح القُدُس ، ومن مريم العذراء ، وصُلِبَ عَنّا على عَهْد « بيلاطُس »]

٢ ــ ويقول الدكتور « بوسْت » فى كتابه : « تاريخ الكتاب المقدّس » :

[**طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الأب ، والله الابن ، والله الروح القُدُس ، فإلى الأب ينتمى الخلْق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء ، وإلى الروح القُدُس التطهير**]

٣ ــ ويشرح هذا الكلام القسّ « بوتر » فى رسالة سمّاها : « الأصول والفروع » فيقول :

[بعد ماخلق الله العالم وتوّج خليقته بالانسان ، لبث حينا فى الدهر لايُعْلن له سوى مايُصرّح بوحدانيّته ، كما يتبيّن ذلك من التوراة]

ويلاحظ فى هذه النصوص من أقوال علماء المسيحية أنها تَتَضَمن مايلى :

أولاً : القوْل بالتثليث

ثانياً : وبأن « عيسى » ابن الله .

ثالثاً : وأن الأقانيم الثلاثة تتساوى فى الجوهر .

رابعاً : وبأن « عيسى » ابن إلٰهٍ نزل من السماء ليقبل الصَّلْب فداء للبشر المخطئين .

لكن القس « إبراهيم سعيد » يحاول فى رسالته : « بِشارَة لُوقا » أن يقول بالتوحيد بيْن الأقانيم ، وأن الولادة ليس المراد منها الولادة الطبيعية ، بل المحبة ، فيقول :

[موجز المعنى المراد بـ « ابن العلىّ » أو « ابن الله » ليس مقصوداً بها ولادة طبيعيّة ذاتية من الله ، وإلاّ لقيل : ولد الله !! ، ولم يُقصد بها مايقال عادة عن المؤمنين جميعاً أنهم أبناء الله ، لأن نسبة « المسيح » لله هى غير نسبة المؤمنين عامّة لله ، ولم يُقصد بها تفرقة فى المقام من حيث الكبر والصِّغر ، ولا الزمنيّة ، ولا فى الجوْهر ، لكنه تعبير يكشف لنا عُمْق المحبّة السِّرِّيّة بيْن الله و« المسيح » ، وهى محبّة متبادلة ، وما المحبة بيْن الأب والابْن الطبيعيَّيْن سوى أثر من آثارها ، وشعاع ضئيل فى بهاء أنوارها ، ويراد بها إظهار « المسيح » لنا أنه

الشخص الوحيد الذى حاز رضى الله ، وأطاع وصاياه فقبل الموْت ، موْت الصليب ، لذلك يقول فيه : هُو ابنى الحبيب الذى به سُررْت]

والذى يدعو القس « إبراهيم سعيد » إلى أن يفلسف النصوص الدينيّة الصريحة عندهم ، إلى هذه المعانى ، أن الأقوال التى ينقلها كُتّاب الأناجيل عن « المسيح » حول التوراة ، مازالت تعتبر التوراة مصدراً دينيّاً عندهم ، والتوراة تُصرِّح بالتوحيد ، وتدعو له ، وتحثّ عليه ، وتلْعن الإشراك ، بكل مادّته وجميع ألوانِهِ وصُنُوفِهِ ، فحتى تلتقى نصوص الأناجيل القائلة بالتثليث ، ونصوص التوراة القائلة بالتوحيد ، كان لابُدّ لفلاسفة المسيحية من القساوسة أن يقولوا بمثل مايُدافع القس المذكور ..

الصّلْب والصليب :

فى انجيل « لوقا » :

[وإن ابن الإنسان قد جاء لكى يُصْلب ، ويُخلِّص ماقد هلك ، فَبِمَحبّتِهِ ورحمته قد صنع طريقاً للخلاص]

وفى إنجيل « يُوحنّا » :

[وفى الغد نظر « يُوحنّا » « يَسُوعَ » مُقبلاً إليه فقال : هُو ذا حمل الله الذى يَرْفع خطيّة العالم]

وفى إنجيل « لوقا » :

[وقال للجميع : إن أراد أحدٌ أن يأتى ورائى ، فَلْيُنْكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويَتْبَعْنى]

وفى إنجيل « يوحنّا » :

[فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يُقال له مَوْضع الْجُمجُمة ، ويُقال له بالعبْرانية : « جُلْجُلَة »]

ويشرح القس « إبراهيم سعيد » هذه النُّصوص فيقول :

[إن آثار قَدَميْ المعلِّم تعيّن طريق خطوات التلاميذ ، لأنه وإن كان « المسيح » قد صُلِبَ عنّا ، فقال فى صَلْبِهِ : (قد أُكمل) ؛ لكنا قد أصبحنا بحكم صَلْبه عنّا تحْت التزامٍ شرْعىّ ، لا لأننا نكون شركاء « المسيح » المتألِّم ، إن شراكتنا الشرعية مع « المسيح » المصلوب ينبغى أن ترافقها وتدعمها شركة اختياريّة فعْليه معه ، إن صلْب « المسيح » معناه : مات عنا ، ولكن صليب كل مؤمن معناه : موْت النفس عن الأنانيّة وحُبّ الذات]

إذاً ... فحمْل الصليب عندهم هو : تأسّ بالخطوات التى سنّها للفداء سيِّدهم « المسيح » .

وهُنا تبرز عِدّة تساؤلات ، تفرض نفسها :

(أ) هل الصليب عمل من أعمال « المسيح » ؟ وهل هو خليقة دينيّة والْتزام عقيدىّ علّمهم إياه « المسيح » ؟

(ب) هل « المسيح » آسْتغفر للرجُل الذى سلّمه للدولة الرومانية ؟

(جـ) هل قبل « المسيح » الحكْم عليه بالصَّلْب دون ضَجَرٍ وبُغْضٍ للقابضين عليْه ؟

أمّا نص إنجيل « يُوحنّا » فيقول :

[أجاب « يسوع » : لم يكن لك عليَّ سلطان ألبتّة ، لو لم تكن قد أعطيت من فوْق ، لذلك الذى أسْلمنى إليْك ، له خطيّة أعظم]

وإذاً ... كيف يُقال : إن « المسيح » صُلِبَ فداء لخطيئة البشر ، وهو يحمل الرجل الذى سلّمه ، الذّنْب العظيم ؟؟

وقبل أن تَعْرض فى هذه المقارنة لانجيل « برنابا » وما جاء فيه عن مَسألتىْ : العقيدة ، والصَّلْب ، نَعْرض لِرَأييْن فى نفس الموضوع ، أحدهما لمفكر فرنسى ، فكّر ، ودَرَس ، وناقش ، ثم استخلص لِنَفْسه موقفاً ، وأسْلم ، هو المسيو : « إيتيان دِينْيه » ..

يقول :

[أما فى المسيحية فإن لفظ : « الله » تحوطه تلْك الصورة الآدمية لرجُلٍ شيْخٍ طاعِنٍ فى السّن قد بانَتْ عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال ، فمن تجاعيد بالوجه غائرة إلى لحيةٍ بيضاء ... مُرْسلة ... مهملة ... تثير فى النفس ذكرى الموت والفناء ...

وتسمع لقوم يصيحون : ليحى الله !!!

فلا نرى للغرابة محلاً ، ولا نعجب لصيحاتهم وهم ينظرون إلى رمز الأبدية وقد تمثّل أمامهم شيْخاً هرِماً قد بلغ أرذل العُمر ، فكيْف لايخشوْن عليه من الهلاك والفناء ؟ وكيف لايطلبون له الحياة ؟؟

وأما الابن والأم ، وزوْج الأم ، والصليب ، وقلب « يسوع » المقدس ، فلها كل الصلوات ، ولها آلاف الصور والتماثيل

ذات الاحترام والاجلال ، وكلها مقدسة عندهم مثل تقديس الوثنيين لأصنامهم التى تمثل معبوداتهم .

كذلك « يَهْوه » الذى يمثّلون به طهارة التوحيد اليهودى ، فهم يجعلونه فى مثل تلك المظاهر المتهالكة ، وكذلك تراهُ فى متحف « الفاتيكان » وفى نُسخ الأناجيل المصوّرة القديمة]

ويضيف المسيو « إتْيان » حَوْل الوساطة وصكوك الغُفْران فيقول :

[إن هؤلاء الوسطاء هم شر البلايا على الأديان ، وإنهم لكذلك مهما كانت عقيدتهم ومهما كان إخلاصهم وحُسن نيّتهم ، وقد أدرك « المسيح » نفسه ذلك ، أَلَمْ يُطْرد (بائعى الهيكل) ؟؟ غير أن أتباعه لم يفْعلوا مثل مافعل ، واليوم ... إذا عاد « عيسى » فكم يطرد من أمثال بائعى الهيكل !!؟

كذلك ما أكثر البلايا والمصائب ، بل ماأكثر المذابح التى يكون سببها هؤلاء الوسطاء ، سواء كانت بين العائلات وبعضها ، أو بيْن الشعوب والشعوب ، وهم فى ذلك كله يصيحون : (باسْم مجْد الله ... ؟)]

وحوْل تصرفات الكنيسة يقول :

[ثم إنهم عكسوا الآية ، وبدّلوا النيات ، وغيّروا الأوامر والنواهى ، ولم يدركوا قصْد « عيسى » ولا مرماهُ النبيل العالى ، ولا فهموا معناه الحقيقى حيث يقول : (جئتُ لأُلقى ناراً على الأرض ، فماذا أُريد لو اضطرمت ؟ أتظنون أنى جئت لأُعطى سلاماً على

الأرض ؟ كلا .. ، أقول لكم بل انقساماً لأنه يكون من الآن خمسة فى بيْتٍ واحد منقسمين ثلاثة على آثنيْن ، وآثنيْن على ثلاثةً ، ينقسم الأب على الابن ، والابن على الأب ، والأُم على البنت ، والبنت على الأم][10] .

الرأى الثانى للدكتور «نظْمى لوقا» فى كتابه: (محمد الرسالة والرسول) :

يقول الدكتور « نظمى » حوْل العقيدة :

[لم يلد .. ولم يولد .. ولم يكن له كُفُواً أحد .. ، وفى ذلك نقْض لعقائد الشرْك ، وتصحيح لعقائد أهل الكتاب أيْضاً ، فقد صار أتباع المسيح يقولون بألوهيته ، وأنه ابن الله ، وأن الإله واحد ، جوهر واحد ، له ثلاثة أقانيم هى : الآب ، والله الابن ، ــ وهو « المسيح » ــ ، والروح القُدُس ؛ ولم يرد على لسان « المسيح »فى أقواله الواردة فى بشارات حوارِيِّيه إشارة إلى شيء من ذلك ، بل كان يدعو نفسه على الدوام بـ « ابن الإنسان » ؛ بل إن « المسيح » وعظ الناس فضرب لهم المثل فى رعاية الله وعنايته بما يتيحه من الرزق لطيور السماء ووحْش الفلاة ، وما يتيحه من الزينة لزنابق الحقل ، فلا يَنْبغى أن يكون حِرْصُهُم كله على مال الدنيا وقُوّتها وجاهها وزخرفتها .

لابد من رد الناس إلى بساطة الاعتقاد ، ولابد من نَفْى اللّبْسٌ وشوائب الريب عن جوهر هذه العقيدة وهو التوحيد ، مطلق التوحيد ...

إذاً .. يتَعيَّن أن يأتى الدين الجديد بحسْم هذا الخلاف الوبيل :

﴿ قُلْ هُو الله أحد . الله الصَّمَد . لم يلدْ ولم يُولَدْ . ولَم يكُن لهُ كُفُواً أَحَد﴾

(١٠) كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام) ــ المسيو (إتيان دِينِيه) صفحات (٢٥ ــ٢٦) ــ (٢٣ ــ٣٤)

(لم يلدْ) .. فأقرب إلى العقل أن من يلد أحرى بأن يولد ، وما كان سُبْحانه فرداً فى جنْس ، ولا واحداً فى سلالةٍ من نوْعه ، حاشا .. ، بل جلَّ عن النظراء والأكْفاء ، فمنَ ذا الكفء لله ؟؟ .]

ثم ينتقل الدكتور «نظمى» إلى الحديث عن: الخطيئة، والفداء، والصَّلْب :

[وإن أنْس لا أنْسى ماركبنى صغيراً من الفـــزع والهوْل من جرّاء تلك الخطيئة الأولى ، وما سيقت فيه من سياق مروّع ، يقترن بوصف جهنّم ، ذلك الوصف المثير لمخيّلة الأطفال ، وكيف تتجدد فيها الجلود كلما أكلتْها النيران جزاءً وفاقاً على خطيئة آدم ، بإيعاز من حوّاء ، وأنه لوْلا النجاة على يد « المسيح » الذى فدى البَشَر بدمه الطهور ، لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين .

وإن أنْس لا أنْسى القلق الذى ساورنى وشغل خاطرى عن ملايين البشر قبل « المسيح » ؟ أيْن هُم ؟ وماذَنْبُهُم حتى يهلكوا بغيْر فرصة للنّجاة ؟

فكان لابُدّ من عقيدةٍ ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة ، وتطمئنهم إلى العدالة التى لاتأخذ البرىء بالمجرم ، أو تزر الولد بوِزْر الوالد ، وتجعل للبشريّة كرامةً مضمونة ، ويَحْسم القرآن هذا الأمر ، حين يتعرض لقصّة آدم ، ومايروى فيها من أكل الثمرة المحرّمة ، فيقول فى سورة (طه) :

﴿ وعصىٰ آدَمُ ربَّه فغوى . ثم آجْتَباهُ ربُّه فتابَ عليْه وهدىٰ ﴾]

ويقول الدكتور « نظمى » حول الإحساس بقيم الدين الصحيح للإنسان المنصف :

[والحقُّ أنه لايمكن أن يقدّر قيمة عقيدة خاليةٍ من الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ فى ظِلّ تلْك الفكرة القائمة التى تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء ، فيمضى فى حياته مُضىَّ المريب المتردِّد ، ولايُقْبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره فى الوزْر الموروث .

إن تلك الفكرة القاسية ـــ الخطيئة الأولى وفداءها ـــ تسمّم ينابيع الحياة كلها ، ورفعها عن كاهل الإنسان مِنّةٌ عظمى ، بمثابة نفح نسمة حياةٍ جديدةٍ فيه ، بل هو ولادة جديدة حقّاً ، وردّ اعتبارٍ لاشكّ فيه ، إنه تمزيق صحيفة السوابق ، ووضع زمام كل إنسانٍ بيد نفسه ، والناس فى كرامة البشرية أمّة واحدة بغير تفريق .

فقدْ جاء فى سورة الأنبياء :

﴿ إنّ هذه أُمّتكُم أُمّة واحدة وأنا ربُّكُم فاعْبُدون ﴾] .

مع ماقاله برنابا فى مسألتى العقيدة والصلب

ونعود إلى إنجيل «برنابا» لِنرى مايقول فى مسألتى: العقيدة والصّلْب

أولا ـــ العقيدة :

يقول « برنابا » فى مقدمة إنجيله :

[والآيات التى آتخذها الشيطان ذريعةً لتضليل كثيرين بدعْوى التقوى مبشِّرين بتعليم شديد الكُفْر ، داعين « المسيح » ابن الله !! ورافضين الختان الذى أَمَرَ الله به]

فمن النص ـــ هذا ـــ يظهر رأى « برنابا » واضحاً فى تصْوير عقيدة الكنيسة ، وأنه يرفض القول بأن « المسيح » هو ابن الله .

كما يؤكّد « برنابا » هذه الفكرة فى (الفصل السبعين) من إنجيله ، حيث يقول :

[أجاب « يسوع » : ماقولكم أنتُم فىَّ ؟ فأجاب « بُطْرس » : إنّك « المسيح » ابن الله ، فغضب « يسوعُ » حينئذٍ وانتهره بغضبٍ قائلاً : اذْهَبْ وانصرف عنى لأنك أنت الشيْطان ، وتريد أن تُسىء إلىّ]

إذاً ، هى فكرةٌ شيطانيّة !!! وقد راوَدَتْ أذْهان بعض الحواريّين أمثال « بُطْرس » ، وَوَسْوَسَ بها « إبليس » !!!

ويقول فى آخر (الفصل الثالث والتسعين) :

[حتى إنّهم يجاهرون بأنك أنْت الله ، فاضطرِرْت بسبب الشعب إلى أن آتى إلى هُنا مع الوالى الرومانى والملك « هيرودس » فنرجوك من كُلِّ قلْبِنا أن ترضى بإزالة الفتنة التى ثارت بسببك لأن فريقاً يقول : إنك الله ، وآخر يقول : إنك ابن الله ، ويقول فريق : إنك نبّى .

أجاب « يسوع » : وأنْت يارئيس الكهنة ، لماذا لم تُخْمد الفتنة ؟ وهل جُننْت أنت أيضاً !!؟ وهل أمست النُّبوات وشريعة الله نَسْياً مَنْسيّا؟

أيّتُها اليهوديّة الشقيّة التى ضلّلها الشيْطان ...!

ولما قال « يسوعُ » هذا ، عاد فقال :

إنى أشهد أمام السماء ، وأُشهدُ كُلّ ساكنٍ على الأرض أنى برىء من كل ماقال الناس عنى من أنى أعظم من بشر ، لأنى بشر

مولود من امرأة ، وعُرْضة لحُكم الله ، أعيش كسائر البشر ، عُرضة للشقاء العام]

ثانيا ــ الصَّلب

وحول الصَّلْب يقول « برنابا » :

[**فَأَلْقى الله شَبَهَهُ على « يَهُوذا الإسْخَرْيوطى »**] ونصُّ حديثه :

[**الحقّ أقولُ لكم : إن صَوْت يَهُوذا ووجهه وشخصه بلغتْ من الشّبه بـ « يسوع » أن اعتقد تلاميذه المؤمنون به كافة أنه « يسوع » ؛ كذلك خَرَج بعضهم من تعاليم « يسوع » معتقدين أن « يسوع » كان نبيّاً كاذباً ، وإنما الآيات التى فعلها بصناعة السِّحْر ، لأن « يسوع » لايموت إلى وشْك انقضاء العالم ، لأنه سيؤْخذ فى ذلك الوقْت من العالم .**]

ويقول :

[**فنزل ثلاثة أيام ... ، ووبَّخ كثيرين مِمّن اعتقدوا أنه مات ، وقام قائلاً : أَتَحْسبوننى أنا والله كاذِبيْن ، لأن الله وهبنى أن أعيش حتى قُبَيْل انقضاء العالم كما قُلْتُ لكم .**

الحق أقول لكم إنى لم أمُت .. بل « يهوذا » الخائن ، احذروا ، لأن الشيطان سيحاول جهده أَنْ يخدعكم ، ولكن كونوا شهودى فى كل بنى إسرائيل ، وفى العالم كُلّه لكُلّ الأشياء التى رأيْتموها ، وسمعتموها] .

ذلك هُوَ فَهْم !! ونَصُّ ماقال به « برنابا » ، ونُقدِّم للبْحث مادّة شبه كاملة حوْل هذه النقطة ، وهاك نَصَّيْن :

الأول : من إنجيل « يوحنا » حَوْل آعتراف « المسيح » بأنه ذاهب إلى ربِّه ، أو إلى إلٰهِهِ وإلٰه الناس .

والثانى : من رسالة الأعمال ، إذ يحكى كاتبها نصائح « برنابا » و« بُولس » ــ شاؤل ــ إلى أهل قُبْرص حوْل عبادة الله الحىّ الذى خَلَق السماء والأرض .

إذ فى كلا النصّيْن كبير شَبَهٍ للمعانى التى ذكرها « برنابا » حوْل المسيحية التى تلقّاها هُوَ من معينها الأوّل ، أيام « المسيح » ومن فمِهِ أيْضاً .

كما تُقدّم كذلك نصّاً من إنجيل « يوحنا » يُفيد أن عقيدة التثليث ماهى إلاّ دعْوى من كاتب إنجيل « يوحنا » وليست نَصّاً من الكلام المأثور عن السيِّد « المسيح » ــ عليه السلام ــ ..

فلرُبّما تُساعد هذه النُّصوص على تقديم نُورٍ .. !!

النّص الأوّل :

[**ولكن آذهبى إلى إخوتى ، وقُولى لهم إنى ،أَصْعد إلى أبى وأبيكم ، وإلٰهى وإلٰهكم**]

النّص الثانى :

يقول « لوقا » فى رسالة الأعمال :

[**ولمّا سارا فى « سلاميس » ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود ، وكان معهما « يوحنا » خادماً ، وقد استمّرا « برنابا » و« بولُس » متصاحبيْن فى التبشير بالديانة المسيحية فى « قُبْرص » ، وحدث على**

أيديهما المعجزات ، حتى زعم الناس أنهما إلٰهان .. ، فلما سمع الرسولان « برنابا » و« بولس » مزّقا ثيابهما واندفعا إلى الجميع صارخين وقائلين :

أيها الرجال لماذا تفعلون هذا ؟ نحن بشر تحت آلامٍ مثلكم ، نُبشّركم ترجعون من هذه الأباطيل إلى الاله الحيّ الذى خلق السماء والأرض والبَحْر وكل مافيها ، الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم مع أنه لم يَتْرك نفسه بلا شاهد]

ففى النصّين دلالة على أن الحقّ ، كل الحق ، فى الشرح والبيان الذى قدّمه إنجيل «برنابا»، ذلك أمر يحتاج إلى كثير من الاهتمام والعناية ليظهر كحقيقة علميّة مؤكدّة .

أما بعد ذلك .. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فلْيَكْفُر ... ، فقد تبيّن الرشد من الغىّ !!

وأما النص الثالث :

فيقول فيه « يوحنا » — الذى يُعتبر المخترع لعقيدة التثليث — :

[وآيات أُخرى كثيرة صنع « يسوع » قُدام تلاميذه لم تُكْتب فى هذا الكتاب ، وأما هذه فقد كُتبت لتُؤْمنوا أن « يَسُوع » هو « المسيح » ابن الله !!! ولكى تكون لكم إذا آمنتُم حياةٌ باسْمة ...]

لماذا ألف برنابا إنجيله ؟

لهذا السبب — وأمثاله — ألّف « برنابا » إنجيله ، حيث يقول فى المقدّمة :

[الذين ضَلَّ فى عدادهم أيْضاً « بولس » الذى لا أتكلَّم عنه إلاّ مع الأسى ، وهو السببُ الذى لِأَجْلِه أُسَطِّر ذلك الحق الذى رأيْته]

اختلاف هذا الإنجيل عن الأناجيل الأربعة

إذاً ... بين الأناجيل الأربعة وإنجيل « برنابا » بَوْن شاسع فى مفهوم العقيدة : (التثليث) و(الفداء) والصَّلْب .

١ ــ الأناجيل الأربعة تصوّر العقيدة تصويراً أُقْنوميّاً ، بينما هى فى « برنابا » عقيدة سهلة واضحة : الله ربّ العالمين ، خالق السموٰات والأرض .

٢ ــ تصوّر الأناجيل الأربعة « عيسى » على أنه ابن الله ، ويصوّره إنجيل « برنابا » على أنّه نبىُّ الله ، ويؤكّد ذلك ويأْسى ويتأذى لما نشره « بولس » من أعمال ويكتب إنجيله ردّاً وتصحيحاً للحق الذى أُريد به التضليل .

٣ ــ وفى الأناجيل الأربعة أن « عيسى » صُلب ؛ وفى « برنابا » « عيسى » لم يُصلب ولم يمُتْ ، بل رُفع ، لأنه من قبْل وُعد بذلك ؛ وأن جانباً من الناس لما سمع مقالة الصَّلْب اعتقد أن « المسيح » نبىّ كاذب لأنه وعد بأنه لن يموت إلا قُرْب قيام الساعة .

وبَعْد : فلماذا تحرِّم البابويّة والمجامع الكنسيّة إنجيل « برنابا » ؟ هل لهذه الفروق ؟ أو لشىءٍ آخر ؟ ذلك مانرجو الباحثين أن يُقدِّموه للتاريخ ، وخِدْمةً للعقيدة فى الله .

نصوص وحوار

لقد تخيَّرنا هذه النُّصوص من إنجيل « برنابا » دون غيرها لِأَنها تصُبُّ فى إطار البَحْث الذى أَنْشَأْناهُ أساساً تحت عُنْوان « نظرات فى إنجيل برنابا » ؛ .

ونَحْنُ حين نُحاوِرُها لاتَنْطلق مِنْ قاعِدَةٍ إيجابيّةٍ ، أَوْ سَلْبيَّة !!! كما فعل غَيْرُنا ، ولكن من زاويةٍ مجرّدةٍ وفى حيْدةٍ موضوعيّةٍ تامَّة ، غايتُنا منها جلاء الحقيقة ... والحقيقة فقط .

هكـذا كان ابتـــداء أمـــر النبـــوة والوحـــى لِـ «عـــيسى» عليـــه السلام

النَّصُّ الْأَوَّل : [وهُوَ الفَصْل العاشر من إنجيل برنابا] .

[ولمّـا بَلَـغَ « يَسُوعُ » ثلاثين سَنَـةً من العُمْـــر ــ كما أَخْبرنى بذلك نَفْسه ــ صعد إلى جَبَل الزَّيْتون مع أُمِّه لِيَجْنى زَيْتُوناً .

وبَيْنما كان يُصَلّى فى الظـهيرة ، وبَلَـغَ هذه الكلمـات : (ياربُّ بِرَحْمَةٍ ...) ؛ وإذا بنُـورٍ باهِـرٍ قد أَحـاط بِهِ ، وجَـوْقٍ لايُـحصى من الملائكة كانُوا يقولون : (ليتمجَّدِ الله ..) فَقَـدَّم له الملاك « جِبْريـل » كتاباً كأَنَّهُ مرآة بَرّاقةً ، فنزل إلى قلْب « يَسُوع » الذى عَرَف به مافعـل الله ، وماقـال الله ، ومايُريـــد الله ، حتّـــى إنّ كل شَيْءٍ كان عُرْيانـــاً ومكشوفاً له .

ولقد قال لى :

(صَدِّق يا « برنابا » أنى أَعْرِفُ كُلَّ نَبِـيٍّ وكُـلّ نُبُـوَّةٍ ، وكل ما أقوله إنما قد جاء من ذلك الكتاب) .

ولمَا تجلَّتْ هذه الرؤيـا لِـ « يَسُوع » وعَلِـمَ أنَّـه نبـىّ مُرْسل إلى بَيْت إسرائيل ، كاشف « مَرْيَـمَ » أُمَّـه بكُـلّ ذلك قائـلاً لها إنـه يتـرتّب عليه احتمال اضطهادٍ عظيم لمجْد الله وأنّه لايَقْدر فيما بَعْد أن يُقيم معهـا وَيخْدمها ؛

فلما سَمِعَتْ « مَرْيم » هذا أجابت :

(يابنىّ إنى نُبِّئْتُ بِكُلِّ ذلك قَبْل أن تُولد فَلْيَمَجَّد اسْمُ الله القُدّوس)

ومن ذلك اليَوم انصرف « يسوع » عن أُمّه ليُمارس وظيفتَهُ النَّبويّة .]

هكـذا كان ابتداء أمر النبوَّة والوحى لِـ « عيسى » ــ عليه السلام ــ

والملاحظ أن « برنابا » استعمل كلمة « يُصَفِّـى » بدَلاً من كلمة « يَدْعو » أَوْ « يناجى » ... مع أنَّ كلتيهما توحيان بالدُّعاء أما النُّور الباهر فإنه نِعْمةُ السَّماءِ المتدفِّقة تَشِع فى قلُوب الأَنبياء المصطفين ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ ، وهذا مألُوف مَعْهود ...

ولكنَّ كلمة « جَوْق » تتجاوز المألُوف والمعهود فى أُسْلوب النبوءَة والوحْى ، من حَيْث قيام « جبريل » ــ عليه السلام ــ وحده بالأَمْر ، إذْ لا طاقة لِبَشَرٍ بتحمُّل ضَغْط النّور الملائكىّ من واحد فَقَط ، فما بالك بجَوْق من الملائكة !!؟

ويَحْسُنُ بنا هُنا أَنْ نُوَائم بيْن « الجوْق » وبين « جبريل » فى أَنَّ الجوْق كان موْكباً ملائكيّاً يَحْمل « الإنجيل » فى تقديس وتمجيدٍ لكلام الله تعالى ، وأن « جبريل » ــ عليه السلام ــ هو الذى باشر عمليةَ التَّبْليغ ، ﴿تَنزَّل الملائكة والرُّوحُ فيها بإذْن رَبِّهم مِنْ كُلِّ أَمْر﴾ وبهذا التوافق تتناغم المعانى فى جَرْسٍ واحدٍ ، وهدف واحدٍ .. ، ونَسَقٍ واحد ...

ولَيْس ماأَوْردناهُ من توافُق هُوَ الوحيد ، بَيْن القرآن الكريم ، وبيْن بعض ماجاء فى إنجيل « برنابا » ، بل هناك غيره كثير ، وكثير جدّاً ...

ومن عَجَبٍ أن المترجم الدكتور « سعادة » يرى فى هذا التوافق دليلاً على أنّ مُحرِّرَ إنجيل « برنابا » إنما هو مُسْلم ــ نصرانىٌّ الأصل أو يهودى الأَصْل ــ !!! ، فهو يميل بالدليل إلى غير وجهتِهِ وحقيقته ، والأَوْلى أن يقول بِوَحْدة المصْدر .. !

فالمسْلم ... لايُمْكن إطلاقاً ، عُرفاً وشرْعاً ، أن يذكر الروح الأمين « جبريل » ــ عليه السلام ــ مجرَّداً من غَيْر إضافةٍ تكريميةٍ واجبة

والمسلم ــ أيضاً ــ لا يمكن إطلاقاً ، عُرْفاً وشَرْعاً ، أن يَذكر لفظ الجلالة من غَيْر أن يَقْرِنَه بقوله : « تعالى » ...

(... الذى عَرَفَ بِهِ مافَعَلَ الله (...) وماقال الله (...) ومايُريد الله (...) .

(ولمّا تجلَّتْ هذه الرؤيا ...)

وسواء كانت « رؤية » أم « رؤيا » فإنها حقّ ، لأن رؤيا الأنبياء حقّ ؛ ولانريد هنا أَنْ نَدْخل فى متاهةٍ من متاهات التحْليل النظرىّ أو المادىّ .

(فلما سمعت « مَرْيم » هذا أجابتْ :

« يا بنى إنى نُبِّئتُ بكُلّ ذلك قبل أن تولَد ... »)

« مَرْيم » ــ عليها السّلام ــ التى قال الله تعالى فى شأْنها :

﴿ فأرسلْنا إليها رُوحَنا فتمثَّل لها بشراً سويّا * قالت إنّى أَعُوذُ بالرحمن منك إن كُنْت تقيّا * قال إنما أنا رسُول ربِّك لأَهَبَ لك غِلاماً زكيا * قالت أَنَّى يكون لى غلام ولم يَمْسَسْنى بشر ولم أكُ بغيّا * قال كذلك قال ربُّكِ هُوَ علىَّ هَيِّن ولنَجْعله آيةً لِلنّاس ورحْمة مِنّا وكان أمراً

مقْضيًا ... ﴾

مفرق الطريق للناس

النص الثانى (من الفصل السابع عشر) (رقم ١٩) :

[أجاب « فيلبُّس » : ماذا تقول يا سيِّد حقّاً .. لقـد كُتِبَ فى « أَشْعيا » أن الله أبونا .. فكيْف لايكون له بنُون ؟

(٢٠) أجـاب « يسوع » أنـه فى الأنبيـاء مكتـوبٌ أمثـالٌ كثيرة لايجب أن تَأْخذها بالحرف بل بالمعنى ...]

لقد كانت المعجزة فى كيفيّة ميلاد « عيسى » ـ عليه السلام ـ مَفْرق الطريق للناس ، بيْن الهُدى والضّلال ، فوقعت طائفـةٌ من أتباعـه فى أُحبولة الشّيْطان الذى أضلَّها وأعماها ، وزيّن لها سُوءَ عملها فى المعْتقد ، فأَخطأت فى حقّ الذات الإلٰهية ، كما أخطأت فى حقّ نبـوّة « عيسى » ـ عليه السلام ـ !!!

وآستقطبتْ هذه الطائفة الْأَكثريّة السّاحقة من النـاس الأَتبـاع ، وجرَّتهُم من حيْث لايعلمون ، معصوبِى العُيُون ، إلى بَيْـداء قفـراء يتيـه فيها العاقل البصير ...

هذا « فيلبُّس » يَسْأل ...

وأيضاً « بطرس » يَسْأل ...

وغيرهما أَيْضاً ...

و« عيسى » ـ عليْه السلام ـ يقـول : (لايجب أن تَأْخُـذ ـ الأمثال ـ بالحرْف بل بالمعنى) وغَيْر ذلك ..

عملية الشك لها جذور تاريخية:

ومن عَجَبٍ ــ عزيزى القارىء ــ أَنَّ تاريخ الكنيسة حافل بالمؤتمرات الدينية التى تُسمى : « مجامع » ، لِبَحْث وتقرير المعْتَقَد !؟

أىْ أَنّ عمليّة (الشَّكّ) قد رافقت ولازمت عقول الناس وأرواحهم ، من أيّام « عيسى » « عليه السلام » وهو حىّ بَيْنَ أظهرهم ، إلى مدى زمنىّ طويل ... ، حتى سنة (٨٦٩)م ، حين آنْعقد المجمع الثامن ، المسمّى مجمع « القسطنطينية » ــ الرابع ــ .

ولو دقَّقْنا فى سبب انعقاده لتبيّن لنا آستمرار الشّك فى المعتقد !!! ، وكأن المعتقد أَمْر تقريرىّ مردُّهُ إلى الناس ، يا للعجب !!

لقد ذهب بطريرك القسطنطينية « فُوسْيوس » إلى أن (الروح القدس) منبثق من « الآب » وحده ، فعارضه بطريرك روما وقال إنه مُنْبثق من (الآب) و(الابن) معاً ، وقامت المعركة ، وآنعزل بطريرك القسطنطينية ، وجاء خلفه بطريرك آخر ، فَعَقَد مجمعاً فى القسطنطينية عام (٨٦٩)م ، ويُسمّيه المؤرخون « المجمع الغربى اللاتينى » للنَّظر فى قضيّة انبثاق (الروح القدس) من (الآب) و(الابن) ... !!؟؟

وبعد عشر سنواتٍ بالضبط ، أى عام (٨٧٩)م ، استطاع البطريرك « فوسيوس » أن يعود إلى منصبه كبطريرك للقسطنطينية ، ويُقِرَّ وجهة نظره ، ويكرِّس ــ إلى يومنا هذا ــ انفصال الكنيسة الشرقية « الأرثوذكسية » عن الكنيسة الغربية « الكاثوليكية » ؛ ويؤصّل الخلاف فى المعتقد .

من السبب فى تلك الهزة ؟

« يُوحنّا » فى إنجيله كان هو السبب الرئيسى فى تلك الهزَّة والزلزلة ... وحده دون باقى الأناجيل الثلاثة : « متى » و« لوقا » و« مُرْقُص » قال بالتثليث وبألوهية « عيسى » !!!

فمن هُوَ « يُوحَنّا » ؟

هل هُوَ « الحوارىّ » ابن الصَّيّاد ؟ أم هو « يوحنّا » آخر ؟

الجدير بالذكر أن علماء المسيحية فى القرن الثانى الميلادى قد أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى « يوحنا » الحوارى ...

وكان هذا الإنكار فى ظلال « أرينيوس » الذى تتمْلذ على « بوليكارْب » التلميذ المباشر لـ « يوحنا » الحوارى ، ولم يردْ نفى لهذا الإنكارِ من « أريَنيوس » ، مما يفيد أن إنجيل « يوحنا » هو لـ « يوحنا » آخر ...

ويقول « استادْلن » :

(إن كافة إنجيل «يوحنا» تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية)

ويقول أيضاً :

(كانت فرقة « ألوحين » فى القرْن الثانى تنكر هذا الانجيل ، وجميع ما أُسْند إلى « يوحنا »)

وفى دائرة المعارف البريطانية :

(أما إنجيل « يوحنا » فإنه لامرية ولاشك كتاب مزوّر أراد صاحبه مضادّة اثنيْن من الحواريين بعضهما بَعْضاً ، وهما القديسان : « يوحنا »

و« متى »

وقد ادّعى هذا الكاتب المزوِّر فى متْن الكتاب أنه هُو الحوارى الذى يُحبّه « المسيح » ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علّاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو « يوحنا » الحوارىّ يقيناً .

ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لارابطة بيْنها وبيْن من نسبتْ إليه ، وإنّا لَنرْأف ونشفق على الذين يبذلون مُنْتهى جهدهم ، ليربطوا ــ ولوْ بأوْهى رابطة ــ ذلك الرجلَ الفلسفى الذى ألّف هذا الكتاب فى الجيل الثانى ، بالحوارى « يوحنا » الصيّاد الجليل ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سُدى نخبْطهَم على غير هُدى) ــ محاضرات فى النصرانية للأستاذ الشيخ « محمد أبو زهرة » ــ

يقول « جرجس زوين » فى كتابه « سَوْسنة سليْمان » :

(إن « شيرينْطوس » و« أبيسون » وجماعتهما لما كانوا يعلّمون المسيحيّة بأن « المسيح » ليس إلا إنساناً ، وأنه لم يكن قبل أمّه « مريم » ... ، اجتمع عموم : أساقفة آسيا وغيرهم فى سنة (٩٦) عند « يوحنا » والتمسوا منه أن يكتب عن « المسيح » وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليّون الآخرون ، وأن يكتب بنوع خاص لاهوت « المسيح ») .

ويقول « يوسف الخورى » فى كتابه « من تحفة الجيل » :

(إن « يوحنا » صنّف إنجيله فى آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا وغيرها ، والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح ، فطلبوا منه إثباته ، وذِكْر ما أهمله « متى » و« مرقص » و« لوقا » فى

أناجيلهم) .

إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحٰق !!

النص الثالث (من الفصل الثالث والأربعين)

(١٣) (الحق أقول لكم :: إن كل نبيّ متى جاء فإنه عمل لأمة واحدةٍ فقط علامة رحمة الله ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أُرسلوا إليْه . لكنّ رسول الله متى جاء يعطيه الله ماهو بمثابة خاتم يده . فيحمل خلاصاً ورحمةً لأُمَم الأرض الذين يقبلون تعليمه . وسيأْتى بقُوّةٍ على الظالمين . ويبيد عبادة الأصنام بحيْث يخزى الشيطان . لأنه هكذا وَعَد « إبراهيم » قائلاً : « انْظُر فإنى بنَسْلِكَ أُبارك كل قبائل الأرض ، وكما حطَّمْت يا « إبراهيم » الأصنام تحطيماً هكذا سيفعل نَسْلك »

أجاب « يَعْقوب » : يامُعلِّم قُلْ لنا بِمَنْ صُنِعَ هذا العهْد ؟ فإنّ اليهود يقولون بـ « إسحاق » . والإسماعيليُّون يقولون بـ « إسماعيل » .

أجاب « يسوع » : ابن مَنْ كان « داود » ومن أى ذُرِّيَّة ؟

أجاب « يعقوب » : من « إسحاق » ،لأن « إسحاق » كان أبا « يعقوب » ، و« يعقوب » كان أبا « يهوذا » الذى من ذُرِّيَّتِهِ « داود » .

فحينئذٍ قال « يسوع » : ومتى جاء رسُول الله فمنْ نَسْل مَنْ يكون ؟

أجاب التلاميذ : من نَسْل « داود » .

فأجـــاب « يسوع » : لا تغشّوا أَنْفُسكـــم . لأن « داود » يدعوه فى الـروح ربّـاً قائـلاً هكـذا : قال الله لِرَبّـى : اجـلس عن يمينـى حتـى أَجْعـل أعـداءَك موطئـاً لِقَدَميْك ، يرسل الـرب قضيـبك الـذى سيكـون ذا سلطـان فى وسط أعـــدائك . فإذا كان رسُول الله الـــذى تسمُّونه : « مَسِّيا » ابن « داود » ، فكيْف يسمّيه « داود » ربّاً ؟؟ . صدّقونى لأنى أقول لكم الحقّ إنّ العهْد صُنِع بـ «إسماعيل» لا بـ «إسحاق») .

هنا قضيّتان :

الأولى: تتعلّق برسُولنا وسيدنا « محمد » ــ ﷺ ــ ، وتدور حوْل مِحْور عالمية وأُممَّية رسالته وشمولها ... ، وذلك من مؤشّرات نُبُوّته على لسانِ « عيسى » ــ عليه السلام ــ ولقد جاء فى الحديث الشريف :

[وكان كُلُّ نبىّ يُبْعثُ إلى قَوْمه وبُعِثْتُ إلى الناس كافّة]

كما أن كلمة : « خاتم » فيها الافصاح والبيان ...

وكذلك تحطيم الأَصنام وإبادتها ، الذى بَدَأ بـ «إبراهيم» ــ عليه السلام ــ ، ويتمّه من بَعْده ابنه « محمد » ــ ﷺ ــ (وكما حطّمْت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً هكذا سيفعل نَسْلُك)

والثانية: هى قَضيَّة العهْد فى الذَّبْح بين « إسحاق » و« إسماعيل » .

فـ « برنابا » يذهب إلى أَنَّ الْعَهْد قد تعلَّق بـ « إسماعيل » ــ عليه السلام ــ ... ، نقْلاً عن « عيسى » ــ عليه السلام ــ ، إذْ يقول فى الفصل الرابع والأربعين : (١٠) (فَكَلَّم الله حينئذٍ « إبراهيم » قائلاً : [خُذْ ابْنَكَ بكْرك « إسماعيل » واْصْعد الجبل لتقدِّمه ذبيحة] فكيْف يكون « إسحاق » البكْر وهُو لمّا وُلد كان « إسماعيل » ابن سَبْع

سنين) .

ونضيف نحن إلى ماقاله « برنابا » بِأَنّ التَّوْراة نَفْسها تقول : (ابنك الوحيد) !!؟

وَأَيْضاً .. بعيداً عن النُّصوص ، سواء تعارضتْ أم توافَقتْ ، فإن هناك مبدأً هاماً يخضع لقياس المنطق ، ولا يمْلك إنسانٌ مُطْلقاً الحَيْدةَ عَنْه أو مغالطته ، وهو : أيُّ التضْحية أَعْظَم وأكبر وأسمى ؟؟ أن يُضَحّى « إبراهيم » ـــ عليه السلام ـــ بِأَحَدِ بنيه ، أم يُضَحّى بوحيدِهِ ؟؟

سنة اليوبيـــل

النّص الرابع (من الفصل الثانى والثمانين)

(١٥) (قالت المرأة : لعلَّك أَنْتَ « مَسيّا » أيها السيِّد) ؟

(١٦) (أجاب « يسوع » . إنّى حقاً أُرسلْتُ إلى بَيْتِ إسرائيل نَبِيَّ خلاص . (١٧) ولكن سيأتى بعدى « مَسيّا » المرْسَل من الله لكُلّ العالم الذى لِأَجْله خَلَقَ الله العالم . (١٨) وحينئذٍ يسْجَدُ لله فى كُلّ العالم وتُنال الرَّحْمة ، حتى أن سنةِ « اليُوبيل » التى تجىء الآن كل مئةِ سنةٍ سَيَجْعلها « مَسيّا » كل سَنَة ، فى كُلّ مكان) .

[... الْمُرسل من الله لِكُلِّ العالم ...]

[... وتُنالُ الرَّحْمة]

[... حتى إن سنة « اليُوبيل » التى تجىء الآن كُل مائة سنة سَيَجْعلها « مسيّا » كُلَّ سنَةٍ فى كُلِّ مكان] .

﴿ وما أرسَلْناك إلاّ رحمةً للعالمين ﴾ ـــ صَدَق الله العظيم ،

وصَدَق رسُولُهُ الكريم إذْ يقول :

[إنّما أنا رَحمةٌ مُهْداة] .

والذى يقول أَيْضاً :

[وكان كُلُّ نَبِىٍّ يُبْعثُ إلى قَوْمه وبُعثتُ إلى الناس كافة] ؛ وذلك فى حديثه الشريف الذى يقول فيه : [أُوتيتُ خمْساً لم يُؤْتهُنَّ أحدٌ من قَبْلى ...] .

نقطتان هامتان

ونتوقَّف عِنْد موضوع « اليُوبيل » قليلاً ، وإزاء نقطَتيْن هامَّتَيْن :

الأولى : تتعلَّق بإنجيل « برنابا » نفسه ، والثانية : باليوبيل ضِمْناً .

أما الأولى فهى قوْل « برنابا » عن سنة « اليوبيل » بأن « مَسّيا » سَيَجْعلها كل سنة ، والجعْل هُنا ـــ حقيقةً هُوَ من الله تعالى ، وهذا مايؤيِّد وجهة نظرنا فى أن « برنابا » هُوَ صاحب الإنجيل المذكور ، وليس كما زُعِم بأنّه من وضْع نصرانىّ أو يهودىٍّ أَسْلم ، وهُوَ متمكّن من التوراة ، فى محاولةٍ لإثبات تَزْييف هذا الإنجيل ، وأن التوافق ـــ أحياناً ـــ بين القرآن الكريم وإنجيل « برنابا » هُوَ الدليل .

و« برنابا » على سجِيَّتِهِ فيما كتب ، من غير تكلُّف ولا اصطناع !!!

وأما مَوْضوع « اليوبيل » ، فإن هذه الكلمة بعد الرجوع إلى دوائر المعارف والقواميس ، فهى تعنى الاحتفال والاحتفاء بالمغفِرة ، ولقد

دَرَج اليهود على ذلك ـــ (العبرانيون) ـــ قديماً ، فأقاموها كل مائة سَنَة ، ثم خُفِّضَتْ إلى الخمسين !!؟ ، ثم تبنّتْها الكنيسة !!؟ وخَفَضَها أحد البابوات إلى ثلاثةٍ وثلاثين عاماً ، وهى عُمْر السيد « المسيح » ـــ عليه السلام ـــ

أما الإسلام ...

فإن فريضة الحجّ كُلّ عام ، تعْنى هذا المفهوم المهرجانىّ الكبير ، للتوبة والمغفرة ...

يقول رسول الله « ﷺ » فى حديث قُدْسىّ عن ربِّ العِزة بأن الله تعالى يُباهى ملائكته بعباده الذين لبُّوا النّداء :

[يا ملائكتى هؤلاء هُمْ عبادى جاؤونى شُعْثاً غُبْراً لا يلوُون على شئْء ، يرجُون رحمتى ويطلبون مَغْفرتى ... ألا فَقَدْ غَفَرْتُ لهم] .

فَرْحة البارى عَزَّ وَجَلَّ بتوْبةِ العبْد ،
وفَرْحَةُ العبْد بالمغفرة ..
فأَىُّ « يُوبيلٍ » يَعْدِلُ ذلك ؟؟!!

حان لنا أن نصلى

النص الخامس (من الفصل التاسع والثمانين)

(٢٠) (أجاب « يسوع » : [قد حانَ لنا أن نُصَلّى صلاة الفَجْر])
(٢١) (فَنَهضوا وٱغْتَسلُوا .. وصلّوا لإلهنا المبارك إلى الأبد) .

و(من الفصل الثانى والتسعين)

(١٠)(فلما علم بهذا الحاكم ورئيس الكهنة خرجا راكبيْن ، وأرسلا

رسولاً إلى « هيرودس »[11] ، فخرج هو أيضاً راكباً ليرى « يسوع » مسكيناً لفتنة الشعب .

(12) فنشده يومين في البرية على مقربة من الأردن (13) وفي اليوم الثالث وجدوه وقت الظهيرة إذ كان يتطهر هو وتلاميذه للصلاة حسب كتاب موسى) .

(ومن الفصل الحادى والثلاثين بعد المائه)

(1) (وبعد صلاة الليل اقترب التلاميذ من « يسوع » وقالوا ؛ يامعلم ماذا يجب أن نفعل لكى نتخلص من الكبرياء) ؟؟

ولقد لاحظتُ من خلال قراءة نصوص إنجيل « برنابا » أنَّ الصلاة التى كان يُصلِّيها « عيسى » — عليه السلام — ذات ثلاث شُعَب :

الشعبة الأولى : أنها كانت ثلاثاً من ناحية العدد ، الأولى مع الفجْر ، والثانية عند الظهيرة ، والثالثة صلاة الليْل .

الشعبة الثانية : أنّها كانت ذات سجود !!!

الشعبة الثالثة : أنّها كانت مَسْبوقة بِتَطُّهر !!!

وهذا ماتَشْهد له النصوص الثلاثة التى أورَدْت ، وإنى أتوَقّف قليلاً عند قوْل « برنابا » :

[**إذْ كان يتطهَّر هُو وتلاميذه للصلاة حَسْب كتاب موسى**] ؛ وكتاب « موسى » هو « التوراة » ؛ وهى عند المسيحيين تُسمىّ بالعهْد القديم ، ويستَنِدون إليْها فى بعض الأصول العقائدية والتعبُّديّة . إذاً ... فالصلاة ، أو أيّة عبادة أُخرى .. ، لابُدّ وأن تتمّ على طهارة أو تؤدّى

من خلالها ؛ وهذا ماجرى عليه عُرف الأُنبياء وسُنّتُهم ــ جميعا ــ صلوات الله وسلامُه عليهم ــ ؛

وماصُورةُ [العمادة] فى نَهْر الشريعة التى باشرها « عيسى » ــ عليه السلام ــ حسْب نُصُوص الأناجيل المتداولة إلاّ رمْزاً لذلك ، ولقد جرى تحريف التطهُّر للعبادة إلى غَمْس إصْبعٍ أو أكثر فى وعاء ماءٍ عند مَدْخل المعبد ورسم إشارة الصَّليب .

اطلب ماتريد ياخليلى !

النص السادس (من الفصل السادس والثلاثين بعد المائة)

(١٨) (وبعد هذه السنين يجىء الملاك جبريل إلى الجحيم ويَسْمَعهُم يقولون : يا « محمد » أَيْن وَعْدك لنا أَنّ من كان على دينك لايمكث فى الجحيم إلى الأبد ؟؟)

(١٩) (فيعود حينئذٍ ملاكُ الله إلى الجنَّةِ ، وبعد أَنْ يَقْترب من رسُولِ الله باحترامٍ يقُصّ عليه ماسَمِع) .

(٢٠) (فحينئذٍ يُكلّم الرسُولُ الله ويقول : [ربّى وإلٰهى اذْكُر وَعْدَك لى ــ أنا عَبْدُك ــ بأن لايمكث الذين قَبِلُوا دينى فى الجحيم إلى الأبَد] .

(٢١) (فيجيبُ الله : [اطلب ماتُريد ياخليلى لِأَنّى أَهَبُك كُلّ ماتطْلُب])

[وأُعطيتُ الشَّفاعة ...]

والشفاعةُ كما ورد على لسانِ رسول الله « ﷺ » فى الحديث الشريف ـــ هى من ضِمْنِ خَمْسٍ لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قَبْلَهُ من الأنبياء ، وهذا أمْرٌ مَنْطقىٌّ بِالنِّسْبة إلى خَتْم النُبُواتِ وتكامُل الرسالةِ الإلٰهيّة لِلْبَشر وللإنسانيَّة .

و« برنابا » فى حديثِهِ عن رسول الله « ﷺ » على لسانِ « عيسى » ـــ عليه السلام ـــ يُسمِّيه فى إنجيله بثلاثةِ اسماء :

(١) [مسِّيا] ، (٢) [محمد] ؛ (٣) [رسُول الله] .

- اثنان رمْزيّان هما : (مسِّيا) و(رسول الله) وآخر صريح وهو : « محمد » ـــ ﷺ ـــ .

والاسم الصريح ولاشَكّ هُوَ مَدْعاةُ التساؤل والاستفْهام من ناحية وسَبَبٌ رئيسىّ تمسَّك به القائلون بتهافُت إنجيل « برنابا » من ناحيةٍ أخرى ، عِلْميّاً وتاريخياً !!!

ونحن بدَوْرنا لانُنْكر على الباحثين أو المفكرين تساؤُلهم وآستفْهامهم و ... تردُّدَهم .. ، كما لانُنْكر عليْهم أَيْضاً قوْلهم بالتهافُت العلمىّ والتاريخىّ لإنجيل « برنابا » من حيْث التوثيق والمادّة الموضوعيّة .. ، ولكن بشَرْط .. !

هٰذا الشَّرْط هو : تميُّز شخصيَّة المنقول عنه !

فَـ « عيسى » ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ رسُولٌ نبىٌّ من عِنْد الله وليس بَشَراً عاديا ، مهما سَمَتْ وآرْتَقَت نوعيّته البشريّة ، فهو أعلى من تلْك المنزلة .

ويُفْترض فيه ليكون نبيّاً رسُولاً : الصِّدْق والأَمانة ..

وهُنا يتوافق التصريح مع الآية الكريمة : ﴿ **ومُبَشِّراً برسُولٍ يأْتى من بَعْدى اسمُهُ أحْمد** ﴾ !!!

الحقَّ أقول لكم

النص السابع (من الفصل التاسع والخمسين بعد المائة)

(٧) ([الحقّ الحق أقول لكُم إن الخطيئة لا يمكن أن تنشأ فى إنسانٍ إلاّ مُضادَّةً لله])

(٨) ([إذْ ليست الخطيئة إلا مالا يُريده الله فإن كل مايريده أجنبىّ عن الخطيئة. فَلَوْ آضطهدنى رؤساء الكهنة والكهنة مع الفريسيين لأن شعب إسرائيل دعانى إلٰهاً لفَعَلُوا شيْئاً يرضى به الله ولكافأهم الله . ولكن الله مَقَتَهم لأنهم يضطهدوننى لسببٍ مُضادٍ وهو أنّهم لايريدون أن أقول الحق . وكم قد أفسدوا بتقليدهم كتاب موسى وكتاب داود ، نَبِيَّى الله وخليليْه]) .

محاور العقيدة المسيحية :

الخطيئة الأصليّة ... والْفداء ... والصَّلْب ... ، هى محاور العقيدة المسيحيّة التى أَصَّلها وقَعَّدها « بولس » ــ شاوُل ــ ، والتى بُنيتْ عليْها الكنيسة .

والذى يتتبَّعُ الجذْر الأَوّل لمفهوم (الخطيئة) يُدْرك أنها لدى الكنيسة ليْست فى مخالَفةِ أمْرِ الله تعالى فى نَهْى « آدم » و« حوّاء » ــ عليهما السلام ــ عن الأَكْل من الشجرة ، ولكن فى آرْتكاب

العمليّة الجنسيّة ... فكانت (الخطيئة) ، وهو كما يبدُو تأويلٌ للرمْزيَّة .

ولعَّل بعض مفسِّرينا — رحمهم الله — قد ذهبوا فى التأويل هذا المذْهب أَيْضا ، استناداً إلى بَعْض الصُّوَر المادّيةِ التى لَحِقَتْ بـ « آدم » و« حوّاء » بعد أن خالفا أمْر الله تعالى وأطاعا « إبليس » فى غوايته وضلاله لهما .

فمن الآيات — مثلاً — قول الله تعالى : ﴿ **فَبَدَتْ لهُما سَوْآتُهُما** ... ﴾ ، وارتباطُ بُدُوِّ السوْآت بالمخالفة لأمر الله تعالى هُوَ الذى شَدَّ القائلين إلى هذا الاتجاه .

علْماً بأن بدُوّ السوءات ماكان إلاّ بَعْد المخالفة لاقَبْلها، والبْدُوُّ هنا لَيْس على حقيقتِهِ المادِّية ، إذ أن « آدم » و« حواء » قَدْ خلَقَهما الله تعالى إنسانَيْن متكاملَيْن ، فى كُلّ جُزْئيّةٍ من جزئيات كيانهما المادىّ ... ، فالمقصُود إذاً ... هُوَ الإحساس والشُّعُور بالنَّزْعة الحيوانية فى الكيان — الإنسانى ، وهذا — ولاشَكّ هُبُوط إلى أسْفل ، وتَدَنٍ من عَلْياء الأَشْواق الروحيّة ...

وهذا لا يكون إلا بالمخالفة ... مَحْض المخالفة...، وليْس من ضرورى أن تكُون تلْك المخالفةُ عمليَّةً جنسيَّة ...

يقول « برنابا » على لسان « عيسى » — عليه السلام — :

[**الحقّ الحقّ أقول لكم : إن الخطيئة لايُمْكن أَنْ تَنْشأَ فى إنسانٍ إلا مُضادَّةً لله**] و« آدم » و« حواء » — عليهما السلام — كانا فى الجنَّة بَيْن أَمْرٍ ونَهْيٍ :

﴿ فَكُلا مِنها حَيْثُ شِئْتُما ولاتَقْربا هذه الشجرة ﴾

وكذلك كُلّ إنسانٍ بَعْدَهُما بَيْن أَمْر ونَهْى فى مسيرة الحياة ، فمن أطاع نجا وكانَتْ له الجنة ، ومن عصى وخالَفَ كان من الهالكين ، مكابدةٌ ومشقّةٌ فى الحياة الدُّنيا ، وهو فى الآخرة من الخاسرين ؛

وهذه هى المضادَّة التى تعنى الخطيئة على لسان « عيسى » ـ عليه السلام ـ ، ولَيْست كما زعم « بولس » .

والفِداء .. !؟

لقد آفتدى « عيسى » البشريّة بالصَّلْب كما ادَّعى « بُولُس » ...

ولكن أيّةُ بشريّة ؟

هل هى التى سبقَتْ مجيئَه فَتَخلَّصت من جريرة الخطيئة على حسابِ دَم المخلص وحياتِهِ ؟

أم أنها البشريَّةُ عُمُوما ، حتّى من بَعْده ، إلى أن يَرِث الله الأرض ومن عليها ، فيَرْتع الراتعُون، ويزيغ الزائغون ، ويضِلّ المضلُّون ، على (شمّاعةِ)[11] الفِداء ؟؟؟

ويزيد « برنابا » مفهوم الخطيئة إيضاحاً فيقول :

(ليست الخطيئة إلّا ما لايريده الله) !!

﴿ أَلَمْ أَنْهكُما عن هذه الشَّجَرة ﴾ ؟؟!!

---

(١١) الشمّاعة : المشْجَب .

الخاتمـــة

لِنُراجع نَحْن البشر أَنْفُسنا وعُقُولنا ...
وَلْنُراجع ذواتنا ، من غَيْر تعصُّبٍ ولا تشنُّج ...
ولتكُن الحقيقةُ رائدنا ...

سَأَلتُ ذات يَوْم أحد إخواننا من النصارى ، وكان قد اقْتَرَب موْسم الصَّوْم الكبير الذى يَسْبق (الفصْح) — :

— هل تصُوم يا « فُلان » ؟

فقال : نَعَم ...

فَقُلْتُ : ولماذا تصُوم ؟

قال : أَصُوم اقتداءً بالسَّيد « المسيح » ...

قُلْتُ : عظيم ...

(وأنا أَعْرف بأَنّ الصَّوْم ليْس تشريعاً ولا عبادةً مفروضة)

أُريد إجابةً مُحددة على هذا السؤال : لِمنْ صام السيِّد « المسيح » — عليه السلام — ؟

فقال : هذا سؤال فِيه دهاء ... وَسَكَتَ ...

أخى الإنسان :

من أى دينٍ كُنْت ، وإلى أية طائفةٍ انْتَمَيْت ... لايشطط بك شيطانُ نَفْسِكَ أوْ « إبليسُ » ذاتك عن الحقّ وعن الصراط المستقيم .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاتُه .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع ٣٥٤٦ / ٨٥

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

